الطبعَة الثانيَة

سِرَاجُ الظَّلَامِ

دِرَاسَةُ الْمَلَفِّ الشَّرْعِيِّ لِتَيَّارِ الْخِذْلَانِ

«بَيْنَ قَاعِدَةِ الْجِهَادِ وَخُرَافَةِ بَغْدَادَ»

مُحَمَّدٌ بْنُ سَعِيدٍ الأَندَلُسِي





سِرَاجُ الظَّلَامْ

دِرَاسَةُ الْمَلَفِّ الشَّرْعِيِّ لِتَيَّارِ الْخِذْلَانِ

«بَيْنَ قَاعِدَةِ الْجِهَادِ وَخُرَافَةِ بَغْدَادَ»

مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الأَنْدَلُسِيّ

الطبعَة الثانيَة

رجب ١٤٤٥ هـ

إهداء

إلى مـن هجـر الدّيـار يريد نصـرة ديـن الواحد القهّـار، فحـاد عن السّـبيل وانحرف به المسـار، فعاد إلى الحـقّ طوعًا بعد أن عـرف التّوحيد تحت المطـارق والحديد... مـن بذل الغالـي والنّفيس مـن نفسـه وأهلـه ومالـه وأعـذَر إلـى الله بسـيفه... من لا يزال جرحه ينـزف ودمعه يذرف... مـن تقطّعت أوصالـه وتفتّتت أكبـاده على فراق الولـدان... من تمزّقت أحشـاؤه علـى بُعد الزّوج والـخلّان... مـن أثقله القيـد وطالت به السّـنين وناءت به الدّيار واشـتدّت عليه وَطـأة الكفّار... من أطيط الـبلاء على صدره يكاد يحطّـم جدران قلبه المكلوم، وينسـف قهـر العدا حلمه المرسـوم.

إلـى الثّكالـى والأيامـى والأخوات الأسـيرات تحت الخيـام ووراء الجدران، يجررن أذيال الأسـى والنّكال شـاهدين على من خذلهـم وفرّ عنهم دون نـزال... ألا صبرًا فقـد ذهب الرّجـال النّافرين لعرضهـم وبقـي العلوج خلـف النّوافـذ ترقُب، وليس من بـاع عرضه يسـتطيع أن يشـري عرضًا مسـلمًا بعد ذلك، ألا صبرًا فإنّ بعد العسـر يسـرًا.

إلى مـن خالفنا من أهـل الإنصـاف والإرجاف: لقد انجلـى الغبار وسـيُكتب في دفاتـر التاريخ تفاصيل مـا حصـل، دع عنـك التعصّـب المقيت والنّظـر بعيـن الرّضـا لمن تهـوى فتدفـع عنه بالباطل وتسـتميت، تحـرّر وتجرّد واسـمع منّا ولا تسـمع عنّا، وإنّ لِصاحب الحقّ مقـالًا، وبين يديك صفحة من صفحات التاريخ فكـن منها بمعتبر، ولا تكن يا عبـد الله ممّـن أصمّ آذانه واتّبع شـيوخه وخلّانه، وتولّى بعـد ظهور الحـقّ وبيانه، وعاند بعد قيـام الحجّة عليه فاسـتوجب عذابه، ولا تكن ممّـن قال تعالى فيهم: ﴿أَمْ تَحْسَـبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْـمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُـمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَـبِيلًا﴾... قـال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّـيَ اللَّهُ الَّذِي نَـزَّلَ الْكِتَـابَ وَهُـوَ يَتَوَلَّـى الصَّالِحِينَ﴾، قال ابن عبّاس: يريـد الذين لا يَعدلـون بالله شـيئًا، فالله يتولّاهـم بنصره فلا يضرّهم عـداوة من عاداهم.

إلـى المناصريـن لتيّـار الجهـاد: اعلمـوا أن النّصرة هـي لجماعـة المسـلمين لا لجمـوع المشـركين تحت رايـات المبدّليـن... الجماعة المسـلمة التي يتحرّك جمـوع الصّادقين لبنائها وتشـييد صرحها والبذل لها، فلا تغترّوا بالأسـماء والألقـاب والإعلام، وتعلّموا الإسلام بحدّه الصّحيح فهو الميزان الـذي توزن به الحـركات والجماعات والـدّول والولايـات، فلا تحكّمـوا العواطف في الدّيـن وتبذلـوا الأعمـار والأمـوال فـي خواء، حتى تتحقّقوا مـن صحّة البنـاء وسلامة العقيدة وسـداد المنهج، فهنالـك تكون النّصـرة والولاء.

إلـى خرافة بغداد: من شـابت لحيته فـي الثّغور والنّزال، يحسـب أنّه على جـادّة الطّريق قد أصاب المـورد الزّلال، وهيهـات هيهات... من اسـتكبر على الحقّ وكابـر حتى فَني وأَفنـى... من يصرّ على عبـادة الرّجال واقتفاء أثر الآبـاء والأبدال ولو كانوا ضُلّالًا جُهّالًا... من كَبُـر عليهم ما دعوناهم إليـه؛ عودوا إلى الحـقّ فإنّه الفضيلـة، أوبوا إلى الإسلام وارفعـوا بحـقٍّ راية خير الأنـام تُفتح لكم الأرض وتبُـوؤا بالفـوز في سـاحات القتـال، ولا يصدّنكـم الكبْر ولا الأصنام ولا الشّـيوخ ولا الرّجال.

إلـى قاعـدة الجهـاد: فقـد سـقطت منكـم الرّايـة بعد الرّايـة، وذهبـت منكـم إرادة القتال والمناجـزة إلى منتهـى الغاية، فمـن القاعدة إلى القعـود ومن الكـرّة إلى الشّـتات والجمود، فلـم يبـقَ لكـم فـي الدّيـار أثر، وبقـي من مسـيركم في قلوب المسـلمين عِبَـر... راجعوا مسـاركم وطريقتكـم فقـد خذلتكم الشّـعوب التـي تعذرونها وانفضّـت عنكم القلـوب التي تتألّفونهـا، وكنتم ولازلتم على ديـنٍ باطل، فلن يغني عنكـم الأذى والنّكال المتراكـم مع الضّلالة والغواية، ولن يشـفع لكم طول السّـنين وشدّتها وأنتم على غير السّـبيل السّـويّ وقويم الهداية.



هاجــر ونفــر... تــرك الدّيــار ومراتــع الصّبــا... تــرك الأهــل والولــد بعد صــراع مــع النّفس والهــوى التــي تبغــي السّــكون والدّعــة... لم يلتفــت يــوم الخــروج وراءه بل بــاع المتاع ومضــى مســتعجلًا يبغــي القتــل مظانّــه... قــد هاجــر للّــه تعالــى ولــم يهاجــر للعبيد ولا يصلُــح مثلــه أن يُعبَّــد للعبيــد، أحــرى النــاس بالحــق ومثلــه يوفَّــق إليــه وهــو أحرص النّــاس عليــه: ﴿وَالَّذِيــنَ جَاهَــدُوا فِينَــا لَنَهْدِيَنَّهُــمْ سُــبُلَنَا وَإِنَّ اللَّــهَ لَمَــعَ الْمُحْسِــنِينَ﴾...

وســرعان ما وقعت الصّدمة الشّــديدة على نفســه في حقيقــة الرّاية التي نفــر إليها، لم يكن قبول الحقّ فيها ســهلًا، كيــف وقد بُذلت فيهــا الدّماء وقامــت على الجماجــم والأشلاء، لقد كان ابــتلاءً له فــي حقيقة التّوحيــد والتّجريد أكبر من بلائــه بطائرات التّحالــف وجموع الصليب، وكان الحــال بينه وبيــن خصومه كما قــال تعالى: ﴿هَٰــذَانِ خَصْمَــانِ اخْتَصَمُوا فِــي رَبِّهِمْ﴾...

لم يبقَ مجــالٌ للعواطــف والتّرقيع، ولا يَقبــل الواقع التّصحيــح والتّمييع حين ظهــر الكفر البواح وبــان الشّــرك الصريح... فمــا كان اللّــه ليــذر المهاجريــن حتّى يبيّــن لهم حقيقــة الإمارة وتلاعبهــم بدين اللّــه، وأنّهم ساســةُ علمٍ يحرّفونــه حتى يتوافق مــع الغالبيّــة والجمهور، ويبدّلونــه لمّــا يعلو صــوت الأقــدام الثّقيلة في جماعــةٍ تقدّس الأســماء: كالمجدّد والشّــيخ والدّكتــور... إنّهــا التّجــارة بالدّيــن والتّلاعب بعقيــدة الأنبياء والمرســلين. لقد علــم المهاجر أنّــه يقاتل تحت رايــةٍ الحُكــم فيها لغيــر اللّه... يقاتــل دفعًا عن المشــركين الذين تســمّيهم الجماعــة "المســلمين"، ويقتلون مــن يكفّرهــم، ويفتنونهم بالسّــجن والصّلــب والتّهجير...

لقــد كَبُــر علــى حُجّــاج العــراق كُفــر أجدادهــم وبنــي جلدتهــم، فلمّــا جاءهــم الحقّ مفــصَّلًا انســلخوا منــه ورجعــوا إلــى ديــن الآبــاء، وصدّهــم الكِبْــر والإبــاء كمــا قــال تعالــى: ﴿وَاتْــلُ عَلَيْهِــمْ نَبَأَ الَّــذِي آتَيْنَــاهُ آيَاتِنَــا فَانْسَــلَخَ مِنْهَــا فَأَتْبَعَــهُ الشَّــيْطَانُ فَكَانَ مِــنَ الْغَاوِيــنَ ۝١٧٥ وَلَــوْ شِــئْنَا لَرَفَعْنَــاهُ بِهَــا وَلَٰكِنَّــهُ أَخْلَــدَ إِلَــى الْأَرْضِ وَاتَّبَــعَ هَــوَاهُ﴾...

لم يكن للمهاجريــن حينئذ إلا المفاصلة في الدّين، فأصبحوا وقد تَخطّفتهم ســيوف الغدر اللّعين في خلافة الكفر المبيــن، فترُدّهم من الصّحراء لتقبُرهم في تلــك الصّحراء، ومن نجا من طائرات الصّليب وســيوف الأمن والتّرهيب يجد أمامه الحواجز والمكالب، قد باعهم تجّار البشــر والتّهريب، تقودهم إلى الأسْــر ومقبــرة الأحياء والتّعذيــب... ككلّ مــرّة يدفعون الثّمن غاليًــا من دمائهم وأعمارهم، وهذه المرّة شــاركتهم في ذلك نســاؤهم وأولادهم... لقد تســلّطت عليهم جميع السّــيوف وتكالبت عليهم جميع الأمم وباعهم شــعب النّذالــة رقيقًا لحلف الصّليب... الشّــعب الــذي نفروا لنصرته واســتجابوا لصرخات نســائه وأولاده يقاتلهم تحت راية الصّليــب جزاءً وفاقًا.

تمهيد

الحمدُ للهِ الذي فصَّل لنا الآيات فاستبان بها سَبيل المجرمين، وهدانا إلى صريح الملة وصحيح الإسلام بعد الضياع والتيه بين الجماعات وفلول المشركين، ونجَّانا من الموت تحت راياتٍ جاهلية على غير دين المسلمين، وسلَّمَنَا من سيوف غدرٍ تناهت من رقاب الموحدين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وخلفائه الميامين ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم من الكرام التابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد فقد مضت عقودٌ من الزمن منذ أن رُفِعَت راياتُ القتال فقامت هنا وهناك جماعات وإمارات ودول فاندثرت وأُفنيت وأُبيد فيها جيل من أصحاب هذه الدعوات في المشرق والمغرب، ولا تزال سجون الطواغيت ملئ وساحاتهم خاوية لا يتقدم إليها إلا الوحدان فيصطدمون بواقع غير الذي نظروا إليه عبر إصدارات ذات جودة عالية... ورغم النكبات بل وسنة الله التي جرت في استئصال أكبر مشروع لهم في المشرق، تجد سكوت القوم ومضيهم على نفس الطريق، وإن تم النقد فإنه يتوجه إلى أعلام أو جماعة بغية اسقاطها لخلافات حزبية أو لحظوظ الرياسة والزعامة، وليس النظر في ذات الطريق الذي سلوكه ضلال مبين والمضي فيه مزيد من توالي الضربات على نفس الجراح ... الجراح التي لا تلتئم فهي تنزف حتى الموت ... وإن الله تعالى يصرف قلوباً منهم

فيهديها إلى سواء السبيل، ويقيم عليهم حجته بسماع صوت الناصحين ولكنهم لا يحبون الناصحين بل حالهم مع الناصحين كما قال تعالى: ﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٢١]، وحال الناصحين معهم كما قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٩].

لما يخرج المتحدث الرسمي في كلمته الموسمية يتحدث عن عملية نوعية هنا وهناك، ويشحن دَفعتهُ المعنوية لجنوده بالمضي والثبات، ويؤكد أنه لا يزال هو وحاشيته على نفس النهج سائرين وعلى درب الشيوخ والسادات ماضين، ودولته استسلمت إلى الكفار بعد موت من مات جوعاً وقصفاً من الرجال والنساء والولدان، بعد ضياع دولة وفناء أمة في أكبر نكبة "للتيار الجهادي" [١] في التاريخ المعاصر... بعد الاستئصال والاستذلال والاستئسار بعد الدوس بالأقدام والنعال يتكلم عن المضي على نفس الطريق.

إنَّ الوقوف على حافة الطريق وقفة جادة لإعادة النظر في كل شيء، وقفة صادقة يتجرد فيها السالك من الأهواء والأدواء، ويعرض فيها نفسه وطريقه وقومه وجماعته على الميزان الحق الذي لا يُخطئ التوصيف، فينقاد إلى السبيل القويم ويعلن البراءة من سبيل

[١] قد أذكر في هذا الكتاب بعض الأسماء الشرعية كالجهاد والمهاجرين والأنصار ونحوها **ولا أقصد بها الحقائق الشرعية** على من نُسبت إليهم، بل نسبتها على أنها علَمٌ على طائفة اشتهر عنها هذا المسمى وإن كان الاسم لا يدل على المسمى، كالتيار الجهادي نسبة إلى جماعة القاعدة وفروعها وأفراخها، والمهاجرين نسبة لمن سافر إلى الدولة حال قيامها ونحو ذلك.

المجرمين، لهو صنيع العاقل الذي مرت عليه الأحداث الجسام والنوائب العظام ودائرة الزمان، ولا يتملكه البطر والكبرياء ويكبُر عليه الحق الذي حاد عنه سلفه الأشقياء.

إن الرجوع إلى الحق وإن كان في آخر الطريق رفعةٌ عند الله تعالى، ويُعفي المتبوع من تبعات ضلال المتبوعين وقتلهم تحت رايات جاهلية، إن الوقوف بين مفترق الطرق للبحث عن سبيل المؤمنين في آخر الزمان وكثرة الفتن وشدة الاختلاف على حقيقة الإسلام مع تنوع المشارب والمدارس والمقالات ... ربما يكون بعد البأساء والضراء والزلزال الشديد والفقد الوجيع، والله عز وجل يوفق للحق من جاهد وتجرد وألقى السمع وأنصف، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، قال أبو جعفر: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ﴾ يقول تعالى ذكره: والذين قاتلوا هؤلاء المفترين على الله كذبا من كفار قريش، المكذّبين بالحقّ لما جاءهم فينا، مُبتغين بقتالهم علوّ كلمتنا ونُصرة ديننا ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ يقول: لنوفقنهم لإصابة الطريق المستقيمة، **وذلك إصابة دين الله الذي هو الإسلام** الذي بعث الله به محمدا ﷺ يقول: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ وإن الله لمع من أحسن من خلقه، فجاهد فيه أهل الشرك، مُصَدّقا رسوله فيما جاء به من عند الله بالعون له، والنصرة على من جاهد من أعدائه" [١].

[١] تفسير الطبري ٦٣/٢٠

قد يكون الثمن غالي والبذل كبير ولكن العوض لا يقدر بثمن ولا يساوم ببذل، إنه النجاة في الدنيا من طُرُقِ الضلالة وفي الآخرة من نار حرها شديد وقعرها بعيد.

لقد كنت في زمن مضى وأنا أتنقل من منهج إلى منهج في جمود عن الحركة بين يدي الكتب الصفراء أسيرا لبعض الأقوال والآراء، أرى الخروج من هذه المدرسة أو تلك ضلالة، أراه خروجاً من دائرة السنة والجماعة، ولقد كان الخروج ذو مشقة عظيمة يحتاج إلى قناعة كبيرة وعزم شديد وطبع عنيد، وقد انتفعت بعلوم حصلتها في تلك المدارس عبر سنين الأمن والتفرغ لدراسة المطولات، ولكنني كنت متمرداً على تلك المدارس لا أرضى بالحجر على العقول وقوقعة المدارك، فدائما أقرأ للمخالفين مدافعاً للهوى، قد أقع في هُوَّة الانتصار للباطل أحياناً ولكن يردني صوت الحق القاهر من بعيد فيتمكن من قلبي بسلطانه القديم، فأخرج من قوقعة إلى أخرى، وأتردى بين الحفر وأعرج إلى الحق في أرض مليئة بالأشواك والعثرات والمعوقات، إنها الطريق إلى الحق الذي قد وضع فيه أصحاب المدارس سدوداً وخنادقاً وسواتراً، فتَجاوُزُهَا لمن تشربها يحتاج إلى قوة جذب وإخلاصٍ ويقين، وإن الله يُهيئ عباده لتحمل الحمل الثقيل، فالسير في خلع هذه الأشواك يمر بسالكه عبر البلاء وهو بحد ذاته تمحيص ليعلم الله الصادق من الكاذب، ولا يزال السالك يهدم الأصنام تلو الأصنام إلى أن يصل إلى إفراد العبودية لله وحده بعد أن يخلع الرموز والأوثان ويتبرأ من عابديها ومنظريها والأصنام، كما قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ: "لَوْلَا الْخَطَأُ مَا أَشْرَقَ نُورُ الصَّوَابِ وَبِالتَّعِبِ وُطِئَ فِرَاشُ الرَّاحَةِ وَبِالْبَحْثِ وَالنَّظَرِ تُسْتَخْرَجُ دَقَائِقُ الْعُلُومِ وَلَا فَرْقَ بَيْنَ جَاهِلٍ يُقَلِّدُ، وَبَهِيمَةٍ

تَنْقَادُ" [١] ... يصل بعد توالي المطارق وقطع جميع العلائق والتجرد للحق بقصدٍ وعزمٍ صادق، فإن حقيقة هذا الدين العظيم في زمن الفتن لا تنكشف في جلاء ووضوح إلا لمن تحرك به، فالذين يخرجون إلى المناجزة هم أولى الناس بفقهه ودرايته، والذين يعملون على تقريره في واقع الناس وتغليبه على الجاهلية هم الذين تتبين لهم حقيقته أثناء المدافعة، أما الذين يتفرغون لدراسة الكتب دراسة باردة، المستغرقين في المطولات والعاكفين على الشاشات والمنتديات في هذا الزمان، فهؤلاء عزَّ فيهم الحق لغربته بينهم، وأكثرهم يصححون واقع الناس بما يحرفونه من دين الله استحبابا للحياة الدنيا واستشرافا لها... إنهم يبغونها عوجا قصدهم إلى تثبيت أوضاع هذه الجاهلية النكراء ليعيشوا فيها بأمن وسلام، قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢] قال الحسن: "ليتفقه الذين خرجوا، بما يُريهم الله من الظهور على المشركين والنصرة، وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم" [٢].

---

[١] الفقيه والمتفقه ٢/٨

[٢] رواه الطبري في تفسيره برقم ١٧٤٧٩وقال أبو جعفر: "وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: تأويلُه: وما كان المؤمنون لينفروا جميعًا ويتركوا رسول الله ﷺ وحده، وأن الله نهى بهذه الآية المؤمنين به أن يخرجوا في غزو وجهادٍ وغير ذلك من أمورهم، ويدعوا رسول الله ﷺ وحيدًا. ولكن عليهم إذا سَرَّى رسول الله سرية أن ينفر معها من كل قبيلة من قبائل العرب وهي الفرقة (طائفة)، وذلك من الواحد إلى ما بلغ من العدد، كما قال الله جل ثناؤه: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾، يقول: فهلا نفر من كل فرقةٍ منهم طائفة؟ وهذا إلى هاهنا، على أحد الأقوال التي رويت عن ابن عباس، وهو قول الضحاك وقتادة.

وإنما قلنا: هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب، لأن الله تعالى ذكره حظر التخلف خلاف رسول الله ﷺ على المؤمنين به من أهل المدينة مدينة الرسول ﷺ، ومن الأعراب، لغير عذر يُعذرون به، إذا خرج رسول الله لغزوٍ وجهادِ عدوٍّ قبل هذه الآية بقوله: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾، ثم عقب

أظنُ أنَّ كلاً من السلفية العلمية والسلفية الجهادية والسلفية الصوفية وسلفية الصحوة وسلفية اسكندرية والسرورية والأحزاب الإخوانية وجماعة الدعوة والتبليغ وغيرهم ممن يرفعون رايات الإصلاح في هذا الزمان، يُقِرُّون بفساد هذه المجتمعات ويستنكرون واقع الناس وما صاروا إليه من الانحلال والبعد عن تعاليم الإسلام، وكلهم سلك طريقا في الإصلاح المزعوم واتخذ سبيلا ومنهجا إلى التغيير المنشود، وإن اختلفوا في المنهج فقد اتفقوا في أسماء الدين لهذه الأقوام والشعوب، وللأسف ليس أحد منهم بدأ من نقطة البدء الصحيحة ووضع قدمه على أصول سليمة وبنى دعوته وحركته على منهاج نبوي قويم، إن لم يصل في الدنيا إلى ثمرة أو تمكين فله الأجر الجزيل لسيره على صحيح السبيل ... بل كلهم اتبعوا السُبُل و شذُّوا عن السبيل.

فمنهم من سلك مسلك التصفية والتربية ــ كالسلفية العلمية أو بالأحرى السلفية الصوفية ــ أي: دعوة الناس بتصفية الفروع من البدع الإضافية وتربيتهم على طاعة

ذلك جل ثناؤه بقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾، فكان معلومًا بذلك إذْ كان قد عرّفهم في الآية التي قبلها اللازمَ لهم من فرض النَّفْر، والمباحَ لهم من تركه في حال غزو رسول الله ﷺ، وشخوصه عن مدينته لجهاد عدوّ، وأعلمهم أنه لا يسعهم التخلف خِلافه إلا لعذر، بعد استنهاضه بعضهم وتخليفه بعضهم أن يكون عَقِيب تعريفهم ذلك، تعريفُهم الواجبَ عليهم عند مقام رسول الله ﷺ بمدينته، وإشخاص غيره عنها، كما كان الابتداءُ بتعريفهم الواجب عند شخوصه وتخليفه بعضهم.

وأما قوله: ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾، فإن أولى الأقوال في ذلك بالصواب، قولُ من قال: ليتفقه الطائفة النافرة بما تعاين من نصر الله أهلَ دينه وأصحابَ رسوله، على أهل عداوته والكفر به، فيفقه بذلك من مُعاينته حقيقةَ علم أمر الإسلام وظهوره على الأديان، من لم يكن فقهه، ولينذروا قومهم فيحذروهم أن ينزل بهم من بأس الله مثل الذي نزل بمن شاهدوا وعاينوا ممن ظفر بهم المسلمون من أهل الشرك إذا هم رجعوا إليهم من غزوهم (لعلهم يحذرون)، يقول: لعل قومهم، إذا هم حذروهم ما عاينوا من ذلك، يحذرون فيؤمنون بالله ورسوله، حذرًا أن ينزل بهم ما نزل بالذين أخبِروا خبرَهم.

الطواغيت وحملهم على الركون والسكون وعدم الثورة أو الخروج أو التشنيع، وهؤلاء هم علماء السلطان وأصحاب الولايات الدينية في الأنظمة الجاهلية، كالمداخلة والحدادية وجماعة التبليغ وغيرهم.

ومنهم من سلك مسلك تغيير نظام الحكم فبعضهم اختار صناديق الاقتراع والدخول في دين الديمقراطية كالإخوان وحزب التحرير، ومن ثَم التدرج في تنزيل الأحكام زعموا، فلما وصل منهم من وصل إلى المقعد المنشود كان أشد تقديساً للديمقراطية من اللبراليين والعلمانيين أنفسهم، حتى قُتلوا صبرا في ساحات "الحرية" وهم يهتفون: "في سبيل الشرعية الدستورية".

ومنهم من اختار قتال الأنظمة على الملك كالقاعدة وفروعها، فمنهم من مرت عليه السنين العجاف فلم يلق إلا البأس والشدة والنكال، ومنهم من باع القضية بعد أن طال عليهم الأمد كالنصرة وطالبان ودخل تحت مظلة النظام العالمي وسار وفق الأجندات الغربية، ومنهم من مكّنهم الله في الأرض وأمدهم بالمال والرجال لينظر كيف يعملون وصدق فيهم قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ [فاطر: ٣٩]، وسيأتي الحديث عليهم مفصلاً في هذا الكتاب.

وكلهم قامت قائمته على الحاضنة الشعبية: فالإخوان يدعونهم إلى الاقتراع والتصويت، والقتاليين يدعونهم للدفع والنصرة، وقد انطلقوا من مقدمات غير صحيحة ونظرة خاطئة في واقع الناس وتأصيل فاسد لأسماء هؤلاء الجاهليين ... إن هذا النظر في الواقع الجاهلي وما ترتب عليه من أسماء وأحكام عند هؤلاء الجماعات هو سبب ضياع هؤلاء في سُبُلٍ لا يمكن أن يصلوا منها إلى إقامة المجتمع المسلم الذي تقوم عليه الدولة المسلمة، إنه انطلاق خاطئ في طريق مخالف، وليس انحراف يسير بل سلوك غير السبيل إنه الدخول في المتاهة الكبيرة.

إن الطبيب الحاذق هو الذي يعرف تشخيص المرض الذي يصف على إثره الدواء والعلاج النافع ويكون به الشفاء بإذن الله تعالى، أما الذي لا يستطيع تشخيص المرض سيشتغل بغيره ويؤدي إلى تفاقمه فإن كان يحتاج إلى كي لربما صار يحتاج إلى بتر أو يؤدي به الإهمال إلى الوفاة.

إن دعوة الناس إلى ذروة سنام الإسلام وهم لم يحققوا الإسلام ابتداءً، لهو كحمل المسافر في جرابه الرمال يُتعبه ولا ينفعه، ومن ظن أنه ستقوم الدولة الإسلامية في هذه الجاهلية على هؤلاء الجاهليين بمجرد خلع الأنظمة وتطبيق الحدود الشرعية ــــ كما هو تصور القتاليين اليوم ــــ فهذا أحمق يقود مجموعة من الحمقى يعيشون في وهم كبير وواقع الدولة خيرُ شاهد ... إن إقامة الحدود على المشركين وأخذ الزكاة منهم ودعوتهم لقتال إخوانهم لا يُصيِّرُهم مسلمين، فهم غير مخاطبين بفروع الشريعة ابتداءً بل مخاطبين بأصلها ... وإن قضية وجود الإسلام والمسلمين اليوم هي التي تحتاج إلى علاج

وهي نقطة البدء التي ينبغي الانطلاق منها في المنهج الحركي لتغيير الواقع الجاهلي وإقامة المجتمع المسلم الذي يوازي المجتمع الجاهلي ويدافعه حتى يظهر عليه.

إن تجميع الناس على حقيقة ومدلول الكلمة الطيبة ــ لا إله إلا الله ــ فتمتد بجذورها في قلوبهم فهماً وعلماً وعملاً هو الذي يؤتي أكله بعد التمحيص بإذن الله تعالى، أما السعي في إقامة الدولة بإقامة الأحكام العملية على المجتمعات الجاهلية فهو كمن يريد بناء الصرح فوق رمال متحركة بلا أساس له ولا أصول راسخة، ولا يدر هذا الجاهل أنَّ هذا المحل غير قابل لهذا البناء فسيلفظه ولو بعد حين ... إن هؤلاء يبغونها عوجا لأن المجتمع المسلم سابق في الوجود على الأحكام والشرائع، يتهيأ عقائدياً لتلقي الأحكام والخضوع والانقياد لمن دان له بالطاعة والاتباع، وليس إجراء الأحكام هي التي تُصيِّرُ المجتمع مسلما!!، والناظر في أول الأمر يجد أن نزول الكثير من الأحكام الفقهية والفروع العملية ولَّدَها المجتمع المسلم أثناء حركته وصدامه مع واقع الناس وما ترتب على ذلك من افرازات وإشكالات جاءت حلولها عبر شرائع منزلة، فتنزيل الأحكام والحدود على المجتمع الجاهلي تنزيلٌ في فراغ لأن طبيعة التركيب في المجتمع الجاهلي تُناقض تماما طبيعة التركيب في المجتمع الإسلامي، فإن الاستسلام لله تعالى والخضوع والانقياد له والتلقي في العقائد والأخبار والشعائر والشرائع والنظام ومنهج الحياة لا تنبثق إلا من قلوب مستسلمة لله بالتوحيد فتنقاد له طوعاً بالسمع والطاعة، إذ كيف تتحمَّلُ قلوبٌ خاوية من الاستسلام والتسليم والتوحيد التكاليف العظيمة لهذا الدين، فتلك القلوب الخاوية لا تُطيق حمل هذه الأمانة العظيمة التي تنوء بحملها الجبال

الرواسي، ولا يكفي في ذلك إثارة العواطف والحماسات وإشاعة الرؤى والمنامات لتكمل المسير الطويل الذي تخور فيه عزائم أمثال هؤلاء عندما تنتهي مفعولات تلك المخدرات.

إنَّ المجتمع المسلم يقوم على التوحيد ابتداءً، وعلى هذا الأصل العظيم تكون حركة المجتمع الذي تتهيأ له الأرض بالمدافعة أو الهجرة والمفاصلة بالأبدان ثم تقام الدولة على هؤلاء النُزَّاع، هذا هو المنهج الحركي الصحيح في إقامة الدولة في هذا الزمان كذاك الزمان، ولا أستطيع أن أستطرد في هذه المقدمة أكثر من هذا وسيأتي معنا حين عرض تجربة الدولة والوقوف مع وقائع وشواهد تثبت عدم إمكانية تقليد الخنازير الجواهر والدرر.

أما إذا نظرنا في الواقع والبيئة والأرضية التي قامت عليها "الدولة "الإسلامية" في أصل الوضع، فقد قامت على بقايا ضباط البعث والحرس الجمهوري وفدائيِّ صدام الذين لم يكن لهم خيار إلا قتال المحتل الأمريكي في خندق واحد مع الثوار الذين كوَّنوا جماعات وحركات قامت عليها الدولة في حلف المطيبين [١] الذي هو خليط بين فصائل متباينة وبعض زعماء العشائر، وأحد مفاصله قاعدة الجهاد التي كان عليها أبو حمزة

---

[١] حلف المطيبين، الذي كان يضم "مجلس شورى المجاهدين" مع بعض زعماء العشائر "السنية"، انعقد في ١٢ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٦، تمهيدا لتأسيس الإمارة، وبعد أيام من ذلك، في ١٥ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٦، أعلن عن تأسيس "دولة العراق الإسلامية" في المحافظات العراقية السنية، التي تسيطر الدولة على مساحات واسعة منها، تحت بيعة "أبو عمر البغدادي"، ووزير حربه أبي حمزة المهاجر، وهيمنة المكون العراقي على بقية مفاصل "دولة العراق الإسلامية".

المهاجر بعد البيعة المشهورة، فقامت على إثر ذلك دولة قطرية أميرها ضابط أمن قديم "أبو عمر البغدادي" [١].

لا شك أنهم تابوا [٢] من الانتماء القديم ــ للنظام العراقي ــ وسلكوا مسارا جديدا نحو إقامة دولة "إسلامية" على تصور معين، ولكن هذا التحول لا ينفك عن طبيعة البناء لهذه الدولة الوليدة، والخلفية التي نشأت عليها الكوادر التي تخرجت من ثكنات النظام البعثي، قد يكونوا عسكريين ذوو كفاءة وكذلك الحال، ولكن مثل هذه السفينة تحتاج إلى قيادة شرعية ذات أهلية الاجتهاد بعقيدة صحيحة ونظرة سليمة لواقع الناس ومنهج حركي نبويٍّ وسياسة حكيمة راشدة، وهذا المعدن للأسف لم يكن موجوداً في هذا الممزوج، بل الموجود هو قيادة متكونة من بقايا حزب البعث العراقي بتلك الرواسب الوضعية والعقلية الاستخباراتية المستَحكِمة في اللبنة الأولى لهذه الجماعة، تقود جموع المهاجرين بسوء الظن و عشوائية التسيير، فهم عندها أرقام ووجبات ووقود حرب إبادة في أسخن الجبهات حتى فنوا وهم يتتبعون مواقع النفط والغاز في بيجي وكركوك، ثم سُبيت نساؤهم في الموصل القديمة، إنها قلوب كزبر الحديد من تعرض لسياستها تقذف به إلى حمم الصليب أو تعرضه على سيف الغدر اللعين،

---

[١] أبو عمر البغدادي: أمير دولة العراق الإسلامية من ٢١ رمضان ٢٠٠٦ إلى ٢٠١٠ وهو الذي كان أميرا لجيش الطائفة المنصورة ثم بايع تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين الذي شكل فيما بعد مع جماعات أخرى مجلس شورى المجاهدين الذي صار هو أميرا عليه.

[٢] ونحن لا نناقش هذه التوبة هل تصحح لهم إسلاماً؟، فهم خرجوا من كفر وانتماء ولكنهم لم يدخلوا في الإسلام الصحيح، حيث لم يحققوا البراءة التامة والتوبة الكاملة الصحيحة.

فليس هناك إلا رؤية واحدة فلا تمضي إلا سياستهم وديانتهم، إنها نار تأكل كل من خالفها فلا تترك حولها إلا من يُنفذ تلك السياسات الهوجاء، إنها النظرة الأُحادية باسم لا أريكم إلا ما أرى وما القول إلا ما نقول، فمضت الدولة على رواسب هذه المدرسة ولم يؤثر فيها الكادر القادم من المشرق والمغرب ... وأضرب لذلك أمثلة:

ضابط استخبارات قديم في نظام البعث يُولَى ولاية كركوك ثم هيئة المعسكرات في الشام ثم إدارة هيئة الحرب، كيف تتوقع أداءه في عمله؟ هل حِلمُه على جنوده سيكون كشعرة معاوية رضي الله عنه ... هيهات هيهات، بل كان نقمةً على جنود الدولة وجبهاتها.

محقق في النظام النصيري انشق منه وانضم إلى الدولة وبايعها تائبا من انتمائه القديم، ثم بعد فترة استلم مكتب التحقيق في أحد أقبية سجون الأمن، وتُرِكَ له العمل بدون ضوابط التحقيق الشرعية، فكيف تتوقع أن يكون أداءه في عمله الجديد؟ لا شك أنك ستجد أحد أفرع الأمن النصيري حذوا القذة بالقذة تحت لافتة إسلامية، فهل نفعته توبته من عمله القديم في عمله الجديد؟ ... لم تنفعه لأنها توبةٌ غير كاملة فهي توبة من الانتماء لا من الاتباع إذ هو يجهل أن هناك نوع من أنواع الشرك اسمه شرك الطاعة والاتباع.

قاض للنظام النصيري في الأحوال الشخصية يُولى القضاء للدولة في الشؤون الأسرية، فعلى أي مذهب تتوقع أنه سيقضي؟ أنا أظن أنه سيلفق مذهبا بين دراسته الوضعية وانتمائه الجديد، وسيحكم حتماً بالقوانين فهو لا يعرف الفرق بين الطلاق البدعي

والطلاق السني!!، ثم لا تلبث أن تقتله الدولة بتهمة الجوسسَة ... التهمة المطاطية في الدولة.

طالب علم درس في سجون بوكا أو الحاير استلم ولاية شرعية: هل تظن أنه سيقرر عقيدة مخالفة لم تلقاه عن الجبوري أو العلوان، أو سيمضي على ما أُشربه ويؤدي ما تحمَّله؟ ... أكيد أنه سيقرر عقيدة المشايخ ولا يحيد عنها أنملة. إلا من رحم الله.

هذه نماذج من أثر تلك الرواسب الجاهلية فصاحب الخلفية الوضعية إذا استلم ولاية شرعية على خواء علمي أو على دين محرف فلا شك أنه سيحاكي ويخطو على أثره القديم، وعلى هذه الخلفيات والمشارب والرواسب قامت الدولة وهذه البضاعة التي كانت تُنفق فيها مع رفعها للافتة المضلِّلَة على الجهال بحقيقة الحال أو بحقيقة الدين.

وفي الحقيقة أن الواقع الشرعي في الدولة كان كارثياً فالتوسع الأفقي المتسارع بين الشام والعراق أدى إلى تولية الجهال للولايات الدينية، وبالتالي وقع فساد عظيم في الأرض تحت ظلال راية الخلافة، لقد كان الكادر الموجود في الدولة لا يستطيع تغطية ولاية الرقة فقط!! ولك أن تتصور حجم الفراغ الشرعي الموجود فيها مع امتدادها.

إن الدولة لم ينفر إليها أصحاب المدارس بقدر ما نفر إليها وقود الحرب، لأن المادة الإعلامية لم تكن تُخاطب هذا الصنف بما يزيل العوائق والعلائق بل كان الترويج لمادة "الأكشن" لاستقطاب أصحاب القلوب المقبلة على إقامة الدين وصرح الخلافة ونصرة "المسلمين"، وهذا الصنف تدفعه الحمية والحماسة ليُدفع به إلى معارك الفناء

قبل انطفاء شعلة العواطف الموقدة ... لذلك لا تجد في الدولة من يملأ هذا الفراغ الشرعي الرهيب الذي يحتاج إلى جيش من الدعاة لا من المقاتلين ... طبعاً مع كتم الدولة على أنفاس الموجود، وقتل من خالف الدولة سياسياً أو منهجيا أو شرعياً فلا يبقى إلا من يؤصل لسياساتها الجوفاء، والإلقاء بمن نفر من طلبة العلم إلى جبهات ساخنة فيذهبون ولا يعودون في غالب الأمر ـ إلا من أطال الله بقائه ـ.

لا يستطيع أن ينكر أحد أن مناطق تجمع المهاجرين في الشام بالخصوص في ريف حلب والرقة كانت فيها شعائر الإسلام ظاهرة كحمل الناس على المعروف الظاهر أطراً، وإنكار المنكر الظاهر احتساباً، ولقد استخفى الناس بمنكراتهم عن أعين المحتسبين، وغالب الأمر أن الدافع لهم هو خوف دِرة الحسبة ومراقبة سياراتها لا مراقبة المولى تبارك وتعالى، لذلك حصلت صدامات متكررة بين جهاز الحسبة ورعية أمير المشركين ... وكذا هُدمت صروح شرك العبادة السورية والعراقية ـ عدا التركية! ـ فلم يبق للمشركين مجال لإقامة شعائرهم مع بقائها في قلوبهم ـ إلا من رحم الله ـ فأزالتها من الوجود مع بقائها حاضرة في الصدور متعلقة بها القلوب ... وكذلك رفعها راية القتال واثخانها في صنوف الكفار وبلائها البلاء الحسن في هذا المقام، وكل هذه الأعمال محمودة في الظاهر إن كانت قائمة على أصل صحيح، أما في واقع الحال فقد تُرك أعظم منكر وهو إقرار المشركين على شركهم واسمهم، وتُرك أعظم معروف وهو دعوة الناس إلى توحيد ربهم وبيان حقيقة اسمهم وحكمهم، فالاشتغال عنه بدعوتهم إلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والحجاب والعفاف ونهيهم عن المنكرات الظاهرة لهو اشتغال

عن الأصل بالفرع، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ قَالَ: بِالتَّوْحِيدِ ﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ قَالَ: عَنِ الشِّرْكِ[١]، وعن مجاهد في قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ "كنتم خير الناس للناس على هذا الشرط: أن تأمروا بالمعروف، وتنهوا عن المنكر. وتؤمنوا بالله يقول: لمن بين ظَهريه، كقوله: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَـٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الدخان: ٣٢] "[٢].

وأما القتال فهو في حقيقة أمره دفعٌ عن المشركين و تثبيتٌ لعروش الكافرين، أو فتحٌ لديارهم وإقرارهم على اسمهم وحكمهم، فَتَحصَّلَ بذلك فسادُ الفروع عند فساد الأصول ... لذلك قررنا أن كل انطلاق من غير نقطة البدء الصحيحة ضياع ودخول في متاهة فضلاً عن العواقب والتبعات الكارثية والجناية على دين الله تعالى، فعن أَبِي عُبَيْدَةَ بْنُ حُذَيْفَةَ قَالَ : "جَاءَ رَجُلٌ إِلَى حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ وَأَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ قَاعِدٌ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلا ضَرَبَ بِسَيْفِهِ غَضَبًا لِلّهِ حَتّى قُتِلَ أَفِي الجَنّةِ أَمْ فِي النّارِ ؟ فَقَالَ أَبُو مُوسَى: فِي الجَنّةِ، قَالَ حُذَيْفَةُ: اسْتَفْهِمِ الرّجُلَ وَأَفْهِمْهُ مَا تَقُولُ، قَالَ أَبُو مُوسَى: سُبْحَانَ اللّهِ! كَيْفَ قُلْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ: رَجُلا ضَرَبَ بِسَيْفِهِ غَضَبًا لِلّهِ حَتّى قُتِلَ أَفِي الجَنّةِ أَمْ فِي النّارِ؟ فَقَالَ أَبُو مُوسَى: فِي الجَنّةِ، قَالَ حُذَيْفَةُ: اسْتَفْهِمِ الرّجُلَ وَأَفْهِمْهُ مَا تَقُولُ حَتّى فَعَلَ ذَلِكَ ثَلاثَ

[١] تفسير مجاهد ١/٢٥٧

[٢] رواه الطبري في تفسيره برقم ٧٦١٥

مَرّاتٍ، فَلَمّا كَانَ فِي الثّالِثَةِ قَالَ: وَاللّهِ لا تَسْتَفْهِمُهُ، فَدَعَا بِهِ حُذَيْفَةُ فَقَالَ: "رُوَيْدَكَ إِنّ **صَاحِبَكَ لَوْ ضَرَبَ بِسَيْفِهِ حَتّى يَنْقَطِعَ فَأَصَابَ الْحَقّ حَتّى يُقْتَلَ عَلَيْهِ فَهُوَ فِي الْجَنّةِ، وَإِنْ لَمْ يُصِبِ الْحَقّ وَلَمْ يُوَفّقْهُ اللّهُ لِلْحَقّ فَهُوَ فِي النّارِ**" ثُمّ قَالَ: وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ" لَيَدْخُلَنّ النّارَ فِي مِثْلِ الّذِي سَأَلْتَ عَنْهُ أَكْثَرُ مِنْ كَذَا وَكَذَا"[١].

لما تقوم دولة في هذه البيئة الجاهلية ويتبنى أميرها هؤلاء الجاهلين رعية له ويسميهم "رعية أمير المؤمنين" ويقتل من ينازعُه في اسمهم وحكمهم، ثم تُلَقِّب هذه الدولة نفسها بألقاب السُؤدد والكمال وتُضفي عليها صفة البقاء وعدم الفناء، وتُنزل على نفسها أحاديث آخر الزمان ـ الضعيفة منها والموضوعة ـ وأنها هي الوعد الموعود والامتداد لخلافة العمرين ... هي التي ستُسلِّم الراية للرجل الصالح، ويُدعى الناس لها من أقاصي البلاد تحت شعار "هلموا إلى دولتكم"، ويُصور الإعلام الأمر في أبهى صورته ويَلبسُه لباس زور على غير حقيقته، فيجميع أصحاب هذه الأحلام ويخرجون من دورهم وديارهم وتفتح لهم الأبواب وتُرفع العوائق من السبل، فيتوافدون إلى هذا الحلم الجميل بنسائهم وأولادهم تحت أعين الطواغيت على طول الطريق، فيجتمع فيها عشرات الآلاف من أصحاب هذه الأحلام ليتم بعد ذلك الاكتفاء بهذه الأعداد، وليس الخروج بعدها كالدخول ليُجعل بعدها هذا المشروع الذي بُنِيَّ على شفا جرف هار عبرة للأقران والجاهليين، والقضاء عليه بكل وحشية حتى لا تفكر الأجيال من بعدهم في إعادة مجد لها ضائع أو أن تسرح في حلمها مسترسلة في عودته بعد هذه الإبادة والنكبة،

---

[١] البدع لابن وضاح برقم ٨٣

ولسان الحال: هذا هو المشروع وهذا المصير، إنه مراد الغرب وكذبوا ليس كذاك هو المشروع والمصير إلى الله والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

قد يكون قومنا أغمار أجابوا الصدى البعيد وأورثوا أنفسهم بالدعاوى وليس لهم من اسمهم نصيب، وصدَّقهم السُذّج من الطيبين، ولكن ليس لمن رفع هذا الشعار أن يكون أحمقاً يُجمِّعُ نساءه وولدانه ليقدمهم رقيقاً لأعدائه وهو يعلم علم اليقين أنه لا طاقة له بأعدائه مجتمعين، وإن كنتُ أرفض مطلقاً فرضية التواطؤ فهي خيال لا واقع له في حقيقة الأمر، ولكن قومنا اشتغلوا بثياب الخليفة وعمامته وترصيع تاج وقاره وخلافته في حقيقة الأمر كانت أكبر من العقول المتقوقعة في زوايا متحجرة والقلوب التي تتعلق بالرؤى والمنامات العابرة، والسياسات الهوجاء التي تستنفر عليها جميع قوى العالم لقتالها وتستفزها بأعمالها، حتى لم تترك خط رجعة خلفها ولا أمامها، ولا مأوى غيرها للمهاجرين بل فيها الحياة أو الموت لهؤلاء، فعلاً لقد كانت سياسيات تسير على وفق ما يرسمه الغرب، فالغرب ينفخ في هذا الورم الطارئ والدولة تزيده من الفطريات والأدواء التي تضاعف المرض مما يؤدي إلى بتره والإجهاز عليه، لقد كانت القيادة بِغُشمها آلة في أيدي الغرب تسير على ما رسمته مراكز دراساتها وبحوثها ... إن القضية أكبر من القتل والضياع والأسر والجراح لقد كانت في تدنيس مشروع طاهر بأقوال وعقائد وأفعال لا تمت إليه بصلة ونسبتها إليه لترتبط هذه الأفعال به في أذهان الجاهليين لينظروا بعد ذلك إلى النهاية الأليمة والرمق الأخير فيصير الحلم الجميل إلى كابوس مرعب لا يجرؤ أحد بعد ذلك على تبنيه فضلا على تلبية الدعوات من هنا أو

هناك لإقامته وبناء صرحه من جديد، وهو المشروع الذي يقضُّ مضاجع الغرب حقيقة فتركوا سُفهائنا يقيموا نسخة غير أصلية منه حتى إذا اكتملت الصورة المشوهة تم اجتثاثها في نهاية مرعبة.

ولما تنظر إلى الدولة من خلال إعلامها الذي كان يهدف إلى التجميع والتلميع، وذلك برسم صورة مشرقة وجوانب مضيئة في جميع المجالات لقصد دعوة الجاهليين إلى هذا المشروع، وفي المقابل حينما تنظر إلى الواقع عن قرب ولما يصل النافر إلى تلك الديار يصطدم بحقيقة الأمر ... للأسف إنه مخالف تماماً لما تم الترويج له والدعوة إليه، حتى قال بعض المهاجرين: أريد أن أعيش في الدولة التي في الإعلام!!، وقد كنا كثيراً ما تستيقن قلوبنا أن العدو أقرب إلينا من شراك نعالنا ولما نسمع إلى نشرة الأخبار نقول لعل الأمور لا تزال بخير، وإن كان كبار العسكريين ـ أبو عبد الله الطاجيكي ـ في تقدم البي كي كي على الرقة في أول نكبة كوباني يقول لا نستطيع أن نوقف تقدم العدو ليس لنا إلا العرقلة أو التأخير فالتحالف إذا أراد أن يأخذ قرية أخذها ـ بإذن الله ـ وهذا لا يحتاج أن يقوله كبار العسكريين بل كل من كان في الجبهة يعلم هذا علم اليقين لما يرى من آلة التدمير التي لا تقف أمامها الصدور العارية والقلوب الخاوية، نعم لقد كان الواقع مخالفا تماما لشاشات الإعلام كان الواقع أشد صعوبة وتعقيدا من أحلام المهاجر إلى تلك الديار.

إن الدولة لا تنتصر بكلمة نارية من خطيب مفوه يجرجر فيها أمريكا والغرب لحرب ليس لنا بها طاقة ولا قبيل، لا تنتصر الدولة بإصدار هوليودي من مؤسسة الفرقان،

يصور جانبا أحاديا من جوانب المعركة، وصدق ذاك الأعجمي الذي فر من جبال مكحول فلما سُئل في سجون الأمن عن سبب فراره وتركه القتال، قال أنا رأيت في الإصدارات نحن نرمي والعدو هروب وفي الواقع نحن بين هارب أو مقتول والعدو يتقدم ... قال أخي أنتم كذاب.

إن الدولة تنتصر بالاستقامة على أمر الله وهذه الاستقامة تقتضي الصدق والصدق نجاة والكذب مهلكة، وكذلك كانت الدولة مهلكة بحق حيث أنها تريد إقامة مُلكها على الرهبة التي تجاوزت بها حدود ما أنزل الله، وكنت قديما قرأت كلام سعيد بن جبير للحجاج ــ أخزاه الله ــ ولم أستوعب مقاله حتى رأيته متجسدا في شخصية القيادة في الدولة.. قال سعيد: "إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ مُخَالِفٌ لِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى، تَرَى مِنْ نَفْسِكَ أُمُورًا تُرِيدُ بِهَا الْهَيْبَةَ وَهِيَ تُقْحِمُكَ الْهَلَكَةَ، وَسَتَرِدُ غَدًا فَتَعْلَمُ"[١]... وإن كان الحجاج أسرف في قتل من خرج عليه من القراء وغيرهم ممن شهد دير الجماجم من أصحاب الأشعث، فحُجاجنا قد قتلوا من لم يخرج عليهم أو ينازعهم في الملك بل نازعهم في الدين، فلم تقع في ولايتهم دير جماجم بل هو القتل بالظن والوهم الفاسد الذي يخرجونه سياسة وتعزيرا.

إن أعظم شعار رفعته الدولة: حاكمية الشريعة وإقامة الدين، كان شعارا كاذبا ودعوى فارغة حيث أن أكبر جهاز في الدولة "ديوان الأمن" ـ الذي هو اليد التي تبطش بها والقوة التي تردع بها ـ كان قائماً في أصل وضعه على غير ما أنزل الله، قائماً كيانُه كقيام

[١] حلية الأولياء ٤/٢٩٤

النظام الاستخباراتي في الدول الطاغوتية نحو القذة بالقذة، وهذا ليس حكم بغير ما أنزل الله في قضية من القضايا بل هو تبديل لوضع النظام القضائي كله كما سيأتي بيانه بشواهد في بابه، حيث أن الدولة لم تُحكِّم شرع الله مع خصومها ممن لها دعوى عليهم في زعزعة أمنها أو خلخلة ملكها، بل كانت تقتل مصلحة وسياسة وشبهة ووهما واحترازا وتقيَّة، فضلاً على القوانين التي شرعتها في الدماء والأموال ... لقد خالفت ما قامت عليه وما رفعت عليه اللواء لما نوزعت في عرشها وملكها ... نعم إنهم قوم يريدون: **ملكا ضائعا لا دينا قائما** وإن زعموا خلاف ذلك، وهذا هو اليقين الذي وصلتُ إليه بعد مر السنين معهم... أنا أقصد بهذا القيادة من الحُجَّاج ــ إلا من شذ ــ لا جموع النافرين فهم محكومون لا حاكمين فقد كان يُقذف بهم في جبهات ساخنة في مستهل الأمر قبل أن تُفتَّحَ أعينهم على الواقع المرير، ففي تصور الجماعة أن التزكية تؤخذ من الجبهات فكم ضاعت من كوادر في شتى المجالات، حيث أنهم قُتلوا ولم يُستفد منهم في بناء دولة ناشئة استُنفروا لبنائها، ولكنهم لم يحصلوا التزكية في مفهوم وتصور الجماعة ... لقد كانت الدولة تُسلِّمُ الولايات لأصحاب السبق والولاء للجماعة لا لأصحاب الكفاءات والكوادر إلا ما ندر، فلا تُسلَّم ناصية الأمر إلا لجماعة بوكا وأبو غريب ممن جاوز القنطرة عندهم فهم أهل الوصاية والولاية وغيرهم يُنظر إليهم بعين الحذر ويؤصل فيهم الشك والريبة حتى يثبت خلاف ذلك وهو الولاء للجماعة والتنظيم الذي هو فوق كل ولاء ولو كان لله ورسوله إذا خالف توجُّه الدولة وأهواء السلطان.

انتهت الدولة وأفلت القاعدة ولا يزال الطريقُ طويلا، ولا بد من تصحيح المسار وتقويم الاعوجاج بل ترك ذاك السبيل والعمل من جديد بعد وضع أساس صلب وتحديد الطريق الصحيح والمنهاج القويم ثم السير عليه، فقد نصل أو نموت دونه والله يحكم ما يريد.

وفي هذا الكتاب تقويم لتجربة حيَّة ودراسة ميدانية قائمة زمانياً من بعد الثورات التي اصطُلح عليه الربيع العربي ومكانياً في الشام والعراق، يقوم على دراسة الملف الشرعي للتيار الجهادي بين القاعدة وفرعها دولة الخلافة ... لقد آن الوقت لإعادة النظر في تيار الخذلان من قاعدة الجهاد إلى خرافة بغداد بنظرِ المتجرد المنصف في أصل الداء: "الملف الشرعي" فإن النظر فيه كاف في الوقوف على سبب الخذلان عبر هذه العقود ولا ثمرة تُرتجى حيث لا أصل سليم يثمر.

وإنني في هذه المذكرة في هذه العزلة لا يسعني قول كل ما في الجعبة إذ لا تتحمله هذه الورقات.

وإنّــي بِـحَمْـدِ اللهِ لا ثَوبَ فَاجِرٍ *** لَـبِســـتُ ولا مِـنْ غَـدرَةٍ أَتـقـنَـعُ
ولَستُ أَخَافُ في اللهِ لَومَةَ لائِمِ *** ولا مِـــنْ صِيَّاحِ النَّذِيرِ أَتـمـنَّعُ

وإني بحول الله وقوته كتبت هذه الشهادة لله ولم أقل فيما رأيت أو سمعت إلا حقاً، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]، وقد أقف في هذا الكتاب وقفات كرؤية

منهجية أو شرعية أبنيها على قناعةٍ وصلتُ إليها بعد هذه التجربة المريرة، ويعلمُ الله أني وددت لو كُفيت، وأني قد ترددت طويلاً في كتابة هذه الكلمات وقد أكون كارهاً لنشر بعض المواقف أو الوقائع وما تركته أضعافَ ما أبثهُ وإني لأعلم أن إثم السكوت على الذي بين جنبيَّ عظيم عند الله، وتالله إنَّ الذي يحرك هذا القلم هو القيام بواجب النُصح والتبيان قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.



الباب الأول

إدارة التوحش في ساحة الشام

الفصل الأول

إرهاصات البناء

قامت الثورات في القطر العربي وهاجت الشعوب وماجت وخرجت تريد الحرية وتطالب بالحقوق المدنية وترفع شعارات الجاهلية، تريد إقامة النموذجية الغربية للديانة الديمقراطية، ثارت الشعوب في مسيرات سلمية لتخلع حُكامها التي صارت إلى الديكتاتورية واسترجاع الحاكمية التي تفرد بها المماليك، خرجت تطالب بالحق الضائع ليختاروا من الطواغيت من يرفع عنهم الضيم ويرتقي بهم في سلم الحريات ويحقق لهم الحياة المدنية الرغيدة التي يرونها واقعا في الغرب وهم غارقون في وحل الظلم والفقر والاستبداد والبيروقراطية، وترى خيرات البلاد بأيدي أهل الفساد، وترى وصاية الغرب على العباد، حيث أن حكامهم لا يصدرون إلا عن قولهم ولا يخرجون عن سياستهم إذ هم الحاكم الفعلي لتلك الديار المستفيد من عوائدها المتمتع بخيراتها ... هذه هي نظرة تلك الشعوب إلى الواقع الذي انطلقت غاضبة لتغييره ساخطة على ملوكها ناقمة على ساستها تريد اسقاط النظام الحاكم الذي قد جثم على صدورها لعقود من السنين ... وهي تلك الشعوب التي رضعت الثدي الخبيث حتى الثمالة وتشربت من عقائد الكفر منذ نعومة أظفارها إلى شيبة رأسها قامت ثائرة لخلع الحواجز إلى الحياة ... الحياة التي لم يوفرها النظام السائد.

وانطلاقاً من هذه البواعث وغيرها اشتعلت شعلة ثورات الربيع العربي كما اصطُلِح عليها في تونس ومصر واليمن وليبيا والشام ... فسقط طواغيت العلمانية واستُبدلوا

بطواغيت الإخوانية، وبقي نظام الحكم هو النظام السائد بعد سقوط الحزب البائد، والجاهلية هي الجاهلية خلعت ثوبا ولبست آخر لتُطفئ نار الغضب التي اجتاحت تلك الشعوب، ويتم تخديرها بتولية أحزاب تتقمص دعاوى إسلامية لتلعب دورا مؤقتا إلى حين رميها في زبالة التاريخ.

ولكن مسار الشام واليمن وليبيا كان مغايراً لمصر وتونس مهد الثورات، إذ لم تكتفي بشعار السلمية بل سارت نحو البندقية، وكانت الشام قد أريد بها أن تكون أرضية لمشروع استقطاب التوجهات الجهادية ليقضي الله أمراً كان مفعولا وصدق من سماها الشام الفاضحة، فالرياح التي هبت في مصر فضحت الإخوان الذين مكثوا تسعين سنة وهم يُمنُّون الجاهليين الغافلين بتحكيم الشريعة عن طريق صناديق الاقتراع والدخول في دين الديمقراطية فلما وصلوا كانوا أكثر ديمقراطية من العلمانيين أنفسهم، فأكذبهم الله في دعواهم ومنهجهم ودينهم، وأما الشام كانت بحق حصاداً مُراً لطائفة أخرى وهي التي أسست قاعدة الجهاد العالمي ودعت الناس إلى صناديق الذخيرة بدعوى إقامة الدين.

سارت الثورة في الشام إلى السلاح منذ سنة ٢٠١١ التي كانت بداياتها في درعا، وانشقت قطاعات من النظام تُسمى بالمعارضة وتشكلت على إثر ذلك جبهات وحركات وجيوش وألوية وجماعات لقتال النظام النصيري، واختلفت المشارب وتقاطعت مصالح دول عظمى في هذا الصراع، فتوسعت الحرب وصارت إلى تحالفات دولية وحَلبة لتصفية حسابات إقليمية، فكل حركة لها داعم يريد أن يكون له موطئ قدم في المنطقة يسعى

في الحفاظ على مصالحه التي قد تضيع بتغيير موازين القوى في المنطقة أو اختلالها، فصارت هذه الجماعات إلى جيوش مرتزقة تحركها مصالح دول.

ومن ضمن تلك الجماعات التي تشكلت لقتال النظام ما يسمى بجبهة النصرة [١] ــ نصرة الشعب السوري ــ التي كانت مُوفدة من العراق تابعة تنظيميا إلى "دولة العراق الإسلامية" فهي التي أنشأتها بإرسال عصبة من القادة على رأسها الجولاني وحجي بكر والأنباري وأبو أيمن وغيرهم وكانت تمدها بالمال والسلاح والرجال ... وكانت النصرة هي أشهر الجماعات القتالية في الشام لقيامها بعمليات نوعية في عقر دار النظام [٢]، وبالتالي كانت قبلة المقاتلين الأجانب باعتبارها امتدادا لقاعدة الجهاد، فلما اشتد عُودها وذاع صيتها تمرد أميرها وخرج عن طاعة الحُجَّاج [٣]، فحينذاك استُنفِرَ البغدادي للقدوم إلى حلب والنظر في أمر الجبهة وإعادة الهيكلة ووضعها في أيادٍ أمينة، ولكن الجولاني ومن معه قد دبروا أمراً وأخذوا أهبتهم، حيث رفض الجولاني الجلوس مع البغدادي ابتداءً لرفضه إعادة الجبهة إلى دولة العراق فأخذ الجمل بما حمل، فقد

[١] في ٢٤ يناير/كانون الثاني/جانفي ٢٠١٢ أصدر أبو محمد الجولاني بيانا أعلن فيه عن تشكيل جبهة لنصرة أهل الشام من مجاهدي الشام، وحدد البيان الهدف من إنشاء الجبهة بالقول: إنها جاءت سعيا من مؤسسيها "لإعادة سلطانِ اللهِ إلى أرضِه وأن نثأر للعرضِ المُنتَهَك والدمِ النازِف ونردَّ البسمَةَ للأطفالِ الرُضَّع والنِساءِ الرَّمل ...".

[٢] وقد تزامن صدور أول بيان باسم جبهة النصرة في سورية مع تفجير مقر أمن الدولة في كفر سوسة، وفرع المنطقة للأمن العسكري في الجمارك يوم ديسمبر/ كانون الأول٢٠١١م، ثم أعلنت عن تفجير في حي الميدان في ٦ يناير/كانون الثاني ٢٠١٢م، وآخر ضد المخابرات الجوية في ساحة التحرير يوم ١٧فبراير/ شباط ٢٠١٢م، وفي حي السليمانية في حلب في ١٨مارس/ أذار٢٠١٢م، وغير ذلك من العمليات النوعية التي استهدفت مواقع حساسة للنظام النصيري.

[٣] **الحُجَّاج**: وهو جمع لـ حجي ويطلق على القادة العراقيين في الدولة "الخط الأول" من أصحاب السبق، وغالباً يُطلق على الولاة وأعضاء اللجنة المفوضة مثل حجي عبد الناصر وحجي حامد وغيرهم.

كانت زمام الأمور بيده ويرى أنه أحق الناس بالإمارة ولا وصاية للعراقيين في سوريا وفطمها عن أمها أصلح لها، فكانت الضربة لحُجَّاج العراق موجعة والصدمة شديدة أدت بهم إلى إخراج هذا النزاع الداخلي إلى العلن في كلمة صوتية [١] للبغدادي وحرق المراحل وإعلان التمدد إلى الشام وقيام "الدولة الإسلامية في العراق والشام" في خطوة استباقية نحو لَيِّ عُنق الجولاني لرده إلى بيت الطاعة، ولكنه كان أذكى من الجميع في اللف والمناورة، حيث أنه استجاب لدعوة البغدادي بالارتقاء من الأدنى إلى الأعلى وبايع الظواهري وحكَّمَّهُ لعلمه أن الأمر سيؤول إليه لزرعه بذور الولاء والطاعة، وكل ينتظر قرار "حكيم الأمة" الذي كان حُكمه قاضٍ بإلزام الدولة بالرجوع إلى العراق وبقاء النصرة كفرع للقاعدة في الشام، فعزم البغدادي وعبد الناصر وغيرهم من الحُجَّاج على الرجوع وامتثال أمر الظواهري على مضض، ورفض الطاعة والعودة إلى العراق بعضهم كالأنباري والعدناني والقحطاني والحطاب وغيرهم وأصَّلوا لعدم جواز ترك

[١] قام أبو بكر البغدادي بتسجيل مقطع صوتي في ٩ نيسان ٢٠١٣ يعلن فيه اتحاد "دولة العراق الإسلامية" وجبهة النصرة لأهل الشام تحت مسمى "الدولة الإسلامية في العراق والشام"، ... وفي ١٠ نيسان ٢٠١٣ تنشر المنارة البيضاء خطاباً للجولاني يرفض الاندماج ويقول أننا نستجيب لخطاب البغدادي بالارتقاء من الأدنى إلى الأعلى، ونجدّد البيعة للشيخ الظواهري، و بعد حوالي الشهرين، في ٩ حزيران ٢٠١٣ تحديداً، أصدر الظواهري قراره المعلن بحلّ "الدولة الإسلامية في العراق والشام "، مع بقاء "الجبهة" و"دولة العراق الإسلامية" على حالهما، ثم تكليف أبي خالد السوري لحلّ الخلاف، والتوقف عن أي اعتداء بينهما بالقول أو الفعل ، كما ذكر خطأ "الدولة" بإعلان الوحدة دون استشارة، وخطأ "الجبهة" بالرفض دونها ... ورد البغدادي بعد أقل من أسبوع على إعلان الظواهري، ففي تاريخ ١٥ حزيران ٢٠١٣ أصدر البغدادي كلمة يقول فيها: "الدولة الإسلامية في العراق والشام" باقية ما دام فينا عرق ينبض أو عين تطرف، ولن نساوم عنها حتى يظهرها الله تعالى أو نهلك دونها، وأضاف: ما تلبث الأيام أن تنجلي عن بصر ثاقب في الرؤية على المدى البعيد عجزت أبصار القاعدين وأصحاب الأهواء والمتخاذلين عن إدراكها، فيعود المنكِر إن لم يكن متعالياً مقراً ويعود المعترض موافقاً والذامّ مباركاً ولله الحمد".

ساحة الشام ولا طاعة "للحكيم" في المعصية، وبعد مخاض استقر أمر الجماعة على البقاء في الشام، ولا وصاية للقاعدة عليهم، وفي إثر هذه الأحداث انشق قسم من جنود النصرة وأمرائها إلى الدولة وقام الأنباري والقحطاني بجهود مضنية في اقناع كتائب النصرة بالرجوع إلى الأصل التي هي الدولة.

وأعادت الدولة البناء والتجميع والبحث عن موطئ قدم جديد في الشام، وقامت لها قائمة بعد أن بايعها كتائب لها ثقل في المنطقة كالأغلبية من جيش المهاجرين والأنصار الذي كان عليه عمر الشيشاني وأبو حفص الجزراوي وأبو جعفر الحطاب، ومجلس شورى المجاهدين الذي كان عليه أبو الأثير الحلبي، وأكثر المهاجرين المتواجدين في الشام أو الوافدين إليها، واستقطبت تيار ما يسمى "**بالغلاة**" [١] وأظهرت لهم الوفاق لمذهبهم وفتحت لهم أحضانها واحتوتهم في صفها.

وفي هذه المرحلة ــ النصف الثاني من سنة ٢٠١٣ ــ وقعت تجاوزات من الدولة على الفصائل والجماعات من الجيش الحر وغيره، بناءً على تكفيرهم واستحلال دمائهم وأموالهم، كما وقع في الدانة من طرف أبو أسامة الدانة التونسي، وكقتل الدولة لبعض الرموز والإعلاميين كالدكتور أبو ريان وأبي خالد السوري والتملص من ذلك، مما أدى إلى احتقان شديد من الفصائل على الدولة [٢] ورميها بالإفساد في الأرض ونشر الفتن

[١] الغلاة: وهذا المسمى يطلق على أصحاب مدرسة أبي عمر الكويتي ويطلق كذلك على المتأثرين بطروحات أحمد بن عمر الحازمي، **ونحن في هذا الكتاب نجاري الاصطلاحات التي أفرزتها الساحات القتالية** على أنه اصطلاح مفرغ من الحقائق الشرعية.

[٢] مما دفع الروابط والهيئات "الإسلامية" السورية إلى إصدار بيان في ٢٢ كانون الأوّل / ديسمبر ٢٠١٣ اتّهمت فيه الدولة بتعمّد افتعال الخلافات مع فصائل المعارضة، ودعته إلى عدم التدخّل في شؤون السوريين، والكفّ عمّا وصفته

وزعزعة الأمن والاستقرار في المنطقة وهدر دماء "المجاهدين" وتكفيرهم، مع رغبة الداعم في خلو الساحة من الدولة قبل مؤتمر جنيف ٢، الأمر الذي أدى بعد ذلك إلى اتفاق الفصائل على الإجهاز عليها في بداية ٢٠١٤ وطردها إلى العراق، وكان أمر الفصائل مبيتاً فأصبحت الدولة وهي في طوق عسكري في حلب وريفها وريف إدلب وريف حماة ــ كالأتارب وأطمة وإعزاز والدانا والباب وسلقين وتلمنس وغيرها ــ أفضل أحوالها الخروج منه، فأُسر وفر وقتل على إثر هذه الحملة من الدولة الكثير، وهدد العدناني بالانسحاب من نقاط الرباط على النظام إذا لم تتوقف الحملات على الدولة، واضطر عمر الشيشاني بالرجوع بالجيش الذي استنفره من جميع نقاط الدولة لفتح مطار الدير لفك الحصار على الدولة من الخارج فتم له السيطرة على مسلمة والباب ومنبج ومارع وما جاورها من ريف حلب، وفي نفس الحملة سيطرت الدولة على الرقة بعد مواجهات مع الفصائل وفرارهم منها وكذا مدينة الطبقة وما جاورها [١]، وتأخر فتح المنطقة الشرقية وكان ذلك بعد قتال دامٍ مع تحالف مشمش [٢] وكانت السيطرة على

بالتصرّفات التي تدعو إلى الفتنة والشرّ" والهيئات التي وقّعت البيان: هيئة الشام الإسلامية، ورابطة العلماء السوريين، وعلماء ودعاة الثورة، والهيئة الشرعية في حلب، ورابطة خطباء الشام، وجمعية علماء الكرد في سوريا، والملتقى الإسلامي السوري، وهيئة العلماء الأحرار.

[١] تم سيطرت الدولة على الرقة والباب ومنبج وجرابلس بحلول شباط/ فبراير ٢٠١٤، وفي العاشر من حزيران/ يونيو ٢٠١٤ سيطرة الدولة على مدينة الموصل في محافظة نينوى، وبعد السيطرة على الموصل وعلى الجبهة السورية أتمت الدولة في ٣ تموز/ يوليو ٢٠١٤ سيطرتها على كل محافظة دير الزور باستثناء أحياء في المدينة ومطارها العسكري.

[٢] وهو تحالف من ١٢ فصيل من أكبر الفصائل المسلحة في المنطقة الشرقية على تشكيل ما أسموه «مجلس شورى مجاهدي الشرقية» «مشمش» لقتال الدولة، والفصائل الموقعة على البيان هي: «الهيئة الشرعية المركزية»، و«جبهة النصرة في المنطقة الشرقية»، و«جيش الإسلام»، و«أحرار الشام»، و«جيش أهل السنة والجماعة»، و«جبهة الأصالة والتنمية»، و«القعقاع»، و«جبهة الجهاد والبناء»، و«بيارق الشعيطات»، و«لواء القادسية»، و«جيش مؤتة الإسلامي»، و«جيش الإخلاص»، و«كتيبة المهاجرين والأنصار».

الشرقية متزامنا مع السيطرة على ولاية نينوى كالموصل وتلعفر وولاية الأنبار كالقائم وراوة وعانة ومدن من صلاح الدين كبيجي وتكريت وغيرها من المدن العراقية، وكُسرت حدود سايكس وبيكو بين سوريا والعراق وصارت حدود الدولة من أطراف شمال بغداد إلى ضفاف نيل جرابلس، واستقر نفوذ النصرة في حلب وريفها.

هذه خطوط عريضة وعرض سريع لأهم الأحداث والمحطات التي مرت بها القاعدة في الشام قبل الانقسام والصراع بين الدولة والنصرة، وليس المقصد منه التأريخ وتفصيل الأحداث بل الغاية من هذا العرض هو دراسة المنهج الحركي وإدارة التوحش الذي تميزت به هذه المرحلة والوقوف مع بعض الأحداث التي بُنيت عليها هذه الدراسة.

الفصل الثاني

وقفات مع الإرهاصات

المطلب الأول: الوقفة الأولى

إن من أهم هذه الوقفات في هذه المرحلة هو تحرير النزاع بين القاعدة والدولة وحقيقة المفاصلة التي وقعت بينهما على إثر النزاع السياسي بعد رفض الدولة السمع والطاعة لأمير القاعدة والخروج على أمره وفك الوصايا عليها والتملص من البيعة التي في عنقها، وهذا النزاع بعد أن كان سياسياً بحتا نحى منحى آخر وصار الطرح فيه بصبغة شرعية، وبعد أن كان الظواهري حكيم الأمة صار سفيه الأمة [١] بعد حكمه على الدولة بالرجوع إلى العراق، واتسعت دائرة الخصومة مع أعلام التيار الجهادي كأبي محمد المقدسي وأبي قتادة الفلسطيني وسليمان العلوان وغيرهم من الذيول الذين كانوا صفاً واحداً مع القاعدة بحكم الانتماء التنظيمي لها، ولم يؤيد الدولة أحد من هؤلاء الرؤوس والذيول لولائهم الشديد للقاعدة، وبعد هذا الصدام القوي لم تجد الدولة بُداً من مواجهتهم كلهم ومحاولة إسقاطهم بعد عدم القدرة على احتوائهم، كما أنها لم تجد بُداً للخروج من هذا الشذوذ والمضيق إلا بإقناع من حولها أن الظواهري لم يكن أميراً عليها!، ولم يفلح لسان العدناني في إثبات هذا في كلمته "عذراً أمير القاعدة" بعد إبراز الظواهري لخطابات سرية فيها حقيقة العلاقة بين القاعدة والدولة وأنها بيعة على

[١] قال العدناني في أحد كلماته بعد أن تولى الظواهري إمارة القاعدة بعد وفاة أسامة بن لادن: "أرسل أحر التهاني إلى مقام سماحة الشيخ الخبير وصاحب السمعة القيادية المعروفة قائد الأمة الدكتور أيمن الظواهري ونتضرع إلى الله أن يحفظه ويباركه ويسدد خطاه"

السمع والطاعة بداية من ابن لادن إلى الظواهري [١]... وصار النزاع بعد فترة من الزمن إلى تكفير أمراء الجبهة بمناط مشاركة الفصائل في قتال الدولة والمظاهرة عليها، وعملت الدولة جاهدة في إثبات ذلك عبر إعلامها، ثم استقر الأمر على تكفير النصرة بالأعيان وبعد زمن من الجفاء والصراع صارت إلى تكفير الظواهري وأعلام التيار ونصب العبوات اللاصقة لإسقاطهم في حرب إعلامية قذرة.

والذي لا شك فيه أن منشأ النزاع وسبب الفصال ليس عقدياً لذلك الدولة لم تسقط كل رموز القاعدة بل تتمسح بأسامة بن لادن [٢] ولم تسقط حينذاك مشايخ القاعدة الذين أفضوا كعطية الليبي [٣] وأبي يحي الليبي وغيرهم، بل كانت الخصومة مع من

[١] ومما جاء فيها من كلام البغدادي: "وندين الله بأنكم ولاة أمورنا، ولكم علينا حق السمع والطاعة ما حيينا!"

[٢] **قال العدناني**: "أيها المجاهدون، أيها الناس أعيروا سمعَكُم، فإنّ حديثي لهُ ما بعدَه أعيروا سمعَكُم، أنقلُ لكُم بعضاً من كلام مشايخنا وقادتنا وأمرائنا قادة القاعدة، قاعدة الجهاد **قال الشيخ الإمام المجدد أسامة بن لادن رحمه الله،** في الخطاب الثاني والعشرين، وهو رسالةٌ إلى أهل العراق خاصة والمسلمين عامّة، قال فيها : فلو التزمَ الناسُ بجميع أحكام الإسلام إلاّ الالتزام بتحريم الربا مثلاً، وأباحوا البنوكَ الربوية، فإن دستور هذه الدولة يُعتبر دستوراً كفرياً، لأن هذا **التصرّف يتضمن اعتقادَهُم** عدمَ كمال الشريعة وكمال مُنَزّلها سبحانه وتعالى، ولا يخفى أنّ هذا كُفرٌ أكبر مُخرج من الملّة، فضلاً عن أنّ هذه الانتخابات تجري بأمر أمريكا تحت ظلّ طائراتها وقذائف دبّاباتها وبناءً عليه: **إن كل مَن يشارك في هذه الانتخابات -والتي سبقَ وصفُ حالِها- عن عِلمٍ ورِضا**، يكونُ قد كفرَ باللهِ تعالى، ولا حولَ ولا قوّة إلاّ بالله » { انظر كلمته عُذراً أميرَ القاعدة لمؤسسة الفرقان }، **وفيها عذر المنتخبين بالجهل وأنهم لا يكفرون إلا بعد العلم والرضا، وهذا يدل على الامتداد العقدي بين القاعدة الأمـ والدولة الفرع في مسألة العذر الجهل في الشرك الأكبر.**

[٣] رثاه البغدادي نفسه في بيان صوتي بعد مقتله في ٢٢ أغسطس (آب) سنة ٢٠١١ بمنطقة وزيرستان الباكستانية، ووصفه بـ«**العالم العامل المجاهد، صاحب العلم والوقار**»، و نشرت «النبأ» في عددها رقم «٨٥» الصادر في ١٤ يونيو (حزيران) ٢٠١٧ الموافق ٢٠ رمضان سنة ١٤٣٨ هجرية (الصفحة ١٢) عنوان «رموز لا أوثان» أشارت إليه في غلافها بصورتين لحسن البنا وعطية الله الليبي، ووصفهما الفرقان بقوله: "ولا يمكن حرص الأمثلة على (الرموز) التي امتدحها البعض، على ما علموا عنهم من خير وجهلوا عنهم من باطل وضلال، كحال رموز (الإخوان) المرتدين، مثل حسن البنا ورموز (القاعدة) **كعطية الله الليبي** وأبي مصعب السوري وغيرهم كثير من أئمة الضلال ورؤوس الفتنة".

صادمها ورفض خلافتها، فالتكفير لم يكن ديانة بل كان سياسة وقد تكرر كثيراً في تاريخ الدولة... ولست في هذا الكتاب أناقش من المخطئ فكليهما على ضلالة وهذا ليس من مقاصد هذا التأليف وإلا كلٌّ قد خرج على طاعة أميره فما ترمي به الدولة الجولاني وقعت فيه مع الظواهري وكلهم أهل أهواء تحركهم المصالح ويحدد ولائهم التنظيم.

المطلب الثاني: الوقفة الثانية

وهي موقف التيار الجهادي من الشعوب الثائرة التي باركها أسامة بن لادن[١] والظواهري وأغلب أفرع القاعدة، ومن ثم بُنِيَّ علي إثر هذا التحول سياسات جديدة

[١] سجلت مؤسسة "السحاب" الإعلامية كلمة صوتية لأمير تنظيم القاعدة السابق "أسامة بن لادن" نُشرت في ٢١ مايو٢٠١١، وقال فيها عن الثورات: "**أمتي المسلمة** نراقبُ معكِ هذا الحدث التاريخيّ العظيم، ونشارُكُكِ الفرحةَ والسرورَ والبهجةَ والحبور، نفرحُ لِفرحكِ وَنترحُ لِتَرَحكِ، فهَنِيئًا لكِ انتصَارَاتُك، (..) أضَاءت الثّورةُ مِن تُونُس (...)"وبسرعة البرق أخذ فرسان الكنانة من أحرار تونس قبسا إلى ميدان التحرير فانطلقت ثورة عظيمة، وأي ثورة، ثورة مصيرية لمصر كلها، وللأمة بأسرها، إن اعتصمت بحبل ربها، ولم تكن هذه الثورة ثورة طعام وكساء، وإنما ثورة عز وإباء، أضاءت حواضر النيل وقراه، من أدناه إلى أعلاه، فتراءت لفتيان الإسلام أمجادهم، وحنت نفوسهم لعهد أجدادهم فاقتبسوا من ميدان التحرير بالقاهرة شعلا ليقهروا بها الأنظمة الجائرة، ووقفوا في وجه الباطل ورفعوا قبضاتهم ضده.. فإلى أولئك الثوار الأحرار في جميع الأقطار، تمسكوا بزمام المبادرة، واحذروا المحاورة، فلا التقاء في منتصف السبيل بين أهل الحق وأهل التضليل"

وبعد موت بن لادن تولى د. أيمن الظواهري قيادة "تنظيم القاعدة" ثم حاول ترجمة حماسة بن لادن عبر تقديم ما يلزم من تأييد وتوجيه لـ"الثورات"، فأصدر وثيقتين في الغرض هما": توجيهات عامة للعمل الجهادي – ١٦ سبتمبر٢٠١٣"، وكذا "نصرة الإسلام – رمضان ١٤٣٣ هـ/ ٢٠١٢"

وقال "عطية الله الليبي" في تأييد الثورات العربية واعتبارها حدثا تاريخيّا كبيرا، رغم أن خطابه عنها المسمى بـ"ثَوْرَة الشّعُوبِ وَسُقـوْط النِّظَامِ العَرَبِيِّ الْفَاسِدِ" ٢٤ فبراير ٢٠١١، سبق نشر خطاب بن لادن بنحو ثلاثة أشهر، وتزامن مع سقوط الرئيس المصري المخلوع حسني مبارك.، وفي أول تقييم له، رأى أن: هذه الثورات وخاصة ثورة مصر لم تكن ثورة على

مع حكومات ما بعد الثورات وتوجيه فروع القاعدة إلى التعاون مع تلك الحكومات الإخوانية وتعليق القتال في المغرب العربي في استراتيجية جديدة لمرحلة ما بعد الثورات، وهذا التوجه هو رد فعل من القاعدة على إثر الواقع الجديد في بلدان الربيع العربي، يدفع به خلفيات عقائدية وأبجديات التيار في تصوره أن هذه الشعوب خرجت تريد الإسلام وإقامة الدين، وأن الذي فشلت القاعدة في تحقيقه عبر هذه السنين من القتال والنزال ستحققه هذه الشعوب بهذه المسيرات والاعتصامات، وهي في حقيقة

النظام المصريّ والنظام العربي الفاسد الخبيث فحسبْ، بل إن أبعادها أشمل وأعمق، (..)، بل سقطت معه أيضا فكرة الاستقرار الذي جعلوه صنماً عبده الطواغيت الأنذال وعبّدوا الناس له، استقرار المنطقة، الذي ليس معناه إلا توافر كل عوامل الطمأنينة لهم والأمن من أي منغّصٍ ينغص عليهم أحوالهم الباذخة الناعمة الفارهة".

وافتتح إصدار "مؤسسة الملاحم" التابعة لتنظيم قاعدة الجهاد في الجزيرة – أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ – ١٢أكتوبر ٢٠١١ أسئلته التي وجهها للقائد العسكري، **قاسم الريمي**، بـ"موقف المجاهدين في اليمن من هذه الثورات"، فلم تخرج إجابته عن مواقف قيادة القاعدة ورموزها، فلم يخرج موقف "تنظيم القاعدة في اليمن" عن التأييد للثورات والتحريض عليها ومباركتها.

وقال **أبو مصعب عبد الودود** أمير تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي عن ثورة تونس: "إن ما يحدث في تونس هو صرخة احتجاج مدوية من ضحية في مواجهة جلادها كسرت جدار الصمت الذي خيم على تونس منذ عقود طويلة. إنها غضبة طال انتظارها وانتفاضة مباركة ضد الطغيان"..

أمّا أبو محمد المقدسي، فقد أكّد في سياق حديثه عن الثّورة في سوريا ضرورة دعم هذه الهبَّة الشعبيّة، والانخراط في صفوف المتظاهرين، بل إنّه رأى أنّ المُشاركة في هذه التّظاهرات السلميّة، هو أمر "متعيّن على كلّ قادر من المسلمين"، ولو أدّت المواجهات مع الأمن إلى "سقوط بعض القتلى".

ووجه الظواهري في شباط/فبراير ٢٠١٤، رسالة إلى مرسي قال فيها "بداية أسأل الله أن يفرج كربك". وقال الدكتور أيمن الظواهري في كلمتِهِ [التحرر من دائرة العبث والفشل] في رسالته للدكتور محمد مرسي ما نصّه : "وأنت اليوم في امتحان عظيم، إما أن تتمسك بالحق غير متزلزل ولا متذبذب ولا متزحزح، فتطالب بحاكمية الشريعة في وضوح وجلاء، وترفض القضاء الفاسد، والقوانين العلمانية، والدستور العلماني، وتصر على تحرير كل شبر من ديار الإسلام المحتلة، وتأبى الاعتراف بأية معاهدة أو اتفاق يتنازل عنها، وتعاهد ربك أنك ستجهر بالحق الذي يفرضه عليك شرعه، ولا تتنازل قيد أُنملة عن ذلك؛ فحينئذ أبشرك بأنك ستكون من أبطال هذه الأمة، ورموزها البارزة، وقادتها العظام، وستحشد الأمة في مصر والعالم الإسلامي خلفك في معركتها مع أعدائه".

أمرها مراجعات لبعض أدبيات التيار في إمكانية الوصول إلى المقصود "الشرعي" عن طريق مسار السلمية، وهذا التناغم بدا واضحاً بين الظواهري ومرسي، حين دعا الظواهري لمرسي ورجا منه أن لا يخيب أمله وأمل الشعب في مشهد يتضح فيه أنه كان يعول الكثير من حركة الشعوب في الربيع العربي، وهذا يدل على أن أصول القاعدة ما هي إلا أصول إخوانية، وما منع القاعدة من المشاركة في هذه الثورات سلمياً إلا خشية التأثير على مسار الثورات واتخاذ ذلك ذريعة في وأد هذا الحراك الشعبي.

والذي يصور موقف القاعدة بصورة واضحة هو ما ورد على لسان رئيس اللجنة السياسية والعلاقات الخارجية في التنظيم أبو عبد الإله أحمد حيث قال: "نقول لإخواننا الذين اختاروا طريقا للمقاومة والتغيير غير طريق الجهاد في سبيل الله نحترم رأيكم وخياركم وندعو لكم بالتوفيق والسداد ونرجوا منكم المعاملة بالمثل **وأنتم أهل الفضل** ولذلك أهل وأن نترك خلافاتنا جانبا وأن نتعاون على البر والتقوى لأن معركتنا واحدة وهدفنا واحد إنهاء حكم العسكر واستقلال الجزائر" انتهى كلامه.

إن موقف القاعدة في مثل هذا التحول النظري فضح أصولها، وكشف أن لديها استعداد وقبول لخوض غمار الديمقراطية للوصول إلى الهدف المنشود، فلا اعتبار للوسائل والغاية تبرر الوسيلة، كشف ذلك تعاملها مع ملف الثورات عند سقوط الرؤوس العلمانية في الدول العربية، الموقف الذي غازلت فيه الإخوان وانتظرت بشغف ولهف شديدين من هذه الشعوب أن تقيم الدين في الأرض على تصور التيار، التصور الذي قد بُنِيَّ على النظرة العقائدية في تصحيح دين الجماهير التي خرجت ساخطة على دنياها،

وعلى الوهم من أنها خرجت تريد الإسلام وتطلبه لتقيمه، مما يُنبئ أن خلافهم مع الإخوان محصور في مسائل اجتهادية ــ بزعمهم ــ كطرق التغيير ولا بأس في التنازل عنها في صور وأحداث معينة والدخول في دين الديمقراطية بُغية التمكين، على غرار الدولة التي كانت حاسمة في مسألة التغيير وإن كان رد فعلها جاء متأخراً بعد سكوت وترقب طويل، فلما زال عرش الإخوان في مصر جاءت كلمة العدناني "السلمية دين من!".

خاب ظن الجميع وعادت الشعوب إلى بيوتها وخفت صوتها بعد أن نكَّل طواغيت مصر بالإخوان قتلا وأسرا فتأدب من ورائهم من الجماهير الغاضبة، وعادت العلمانية إلى تونس بعد فاصل يسير من حكم الإخوان، أما اليمن وليبيا فقد سارت الثورة نحو جعل هذه البلدان بؤر جديدة وساحات لصراع القوى الكبرى في الجزيرة وشمال إفريقيا، وأما الشام فقد كانت نموذجا آخر من الثورات وأريد لها أن تستقطب فئاماً من الحركيين من أنصار التيار الجهادي من شتى البقاع، ففتحت لهم الشام أحضانها حتى اجتمع فيها الكثير من أصحاب المدارس والتوجهات المتباينة من أبناء هذا التيار ليحصل بعدها المخاض العسير والفصام النكد.

المطلب الثالث: الوقفة الثالثة

وهي في إعادة هيكلة الدولة في الشام بعد مفاصلة الجبهة والسعي في استقطاب عدة أسماء لها ولاء للدولة سواء من صفوف الجبهة أو غيرها، وفي هذا السياق استقطبت

الدولة أصحاب التيار المتشدد "الغلاة" وعلى رأسهم أبو عمر الكويتي وأبو جعفر الحطاب حيث أنها وجدت فيهم أرضاً خصبة في خلافها مع النصرة، فهم قد مالوا على إثر الأحداث إلى تكفير الفصائل وأظهرت لهم الدولة هذا النَفَس ... فتجمع في الدولة أبناء هذا التيار من المهاجرين وعلى رأسهم التونسيين من أصحاب المدرسة الحازمية، وبذلت الدولة جهودا مضنية في ضم جيش المهاجرين والأنصار وكان لها ذلك بعد أن انضم إليها أكثره بعد عدة جلسات مع عمر الشيشاني وأبو حفص الجزراوي وأبو جعفر الحطاب، وكان لهذه البيعة أثر بالغ في ظهور الدولة كقوة في إدارة التوحش في غابة الشام ... وأشرنا إلى أنه وقعت في هذه المرحلة اعتداءات غير مفهومة من طرف المعتدى عليه، وأرادت الدولة أن تطبق نظرية إدارة التوحش في مثل هذه البيئة فرفضت التحاكم في عدة مواطن للنزاع بينها وبين المعتدى عليه مما أثار سخط أعلام التيار الجهادي، والذي ولَّد إجماعاً لدى جميع المكونات على رفض وجودها في ساحة الشام، وانتهت بالحملة التي قامت بها الفصائل كما سبق الإشارة إليها، وهذا التوجه إلى التكفير والاعتداء من أسبابه المكون الجديد الذي قامت عليه الدولة والذي توافق مع سياسة الدولة في إدارة التوحش في هذه المرحلة ... ولكن هل هذا التزاوج ــ بين الدولة والغلاة ــ دام طويلا أو كان اندماج مرحلي إلى حين التمكين ثم تطهير الصف من الفكر الدخيل على مسار الدولة وعقيدة أعلامها؟ وهذه الوقفة تفيدنا جداً في فهم المرحلة القادمة والصدام المنهجي الذي وقع في دولة أسست على قاعدة التجميع والضبابية في التصور والعقيدة، وتقديم المصلحة المرحلية في تبني مكونات دخيلة على

فكر الجماعة، فكانت كمن ارتقى سلما على سواعد الغلاة فلما قامت أركانه واستقام عوده نبذ الدخيل عنه وكسر قوائمه.

وعلى إثر المفاصلة التي سلكتها الفصائل مع الدولة والقتال المبيَّت الذي جاء في قالب الغدر كما هو توصيف الدولة له ... هذا الغدر الذي تجرعت الدولة مرارته كاد أن ينهيها في الشام، وهو موقف التيار الجهادي عموماً من أصحاب هذا الفكر "الغلو" أو ممن يحمل بوادره تكررت مأساته في مراحل متعددة في التاريخ القتالي، ووقعت الدولة في حبائله بعد أن صُنفت من طرف أعلام التيار أنها من الغلاة!، وهذا التصنيف يقتضي تطهير ساحة الجهاد منه، حيث أنه قد تقرر عندهم أنه يفسد الجهاد ويحرفه بل هو آفته، لذلك يعملون على تطهير ساحات القتال منه بشتى الوسائل وفي الغالب يكون السيف هو الدواء كما وقع في الجزائر للجماعة الإسلامية المسلحة وفي العراق لجماعة ديالى و تكررت في الشام لجماعة الدولة ... ولكن الدولة رفضت بشدة هذا التصنيف ولعبت على الحبلين وقدمت القرابين لإثبات براءتها من هذا الفكر، وهي تعلم جيدا أن من صنفها هو من قرر لها المعتقد والتيار تياره والدعوة دعوته والخروج عن فكره خلل وغلو وإن لم تصرح به، ولكنها عملت على تطهير الصف من الدخيل بطريقتها الخاصة، وفي المقابل لم تتنازل عن القيادة والريادة في الإمارة وشقت الصف وتفردت بالإمامة ولم تُثنها صيحات الأعلام بالرجوع، والكأس التي شربت منها الدولة سقتها بعد ذلك لجنودها وأبنائها.



الباب الثاني

المرحلة الأولى

التمكين وإعلان الخلافة

تم سيطرت الدولة على أجزاء واسعة من سوريا والعراق في ظرف متزامن وفترة وجيزة، حيث لم يكن التمكين يخطر على بال أحد، ولكن الله مكن لهذه الجماعة بما لم يُمَكَّن فيه لغيرها ابتلاءً لها وامتحان من الله عز وجل لينظر كيف يعملون، وعلى وقع نغمات هذا التمكين سارع الحُجَّاج إلى إعطائه صبغة أخرى وأبعادا تاريخية وتقليده تاج الخلافة، ولم يكن بين التمكين والإعلان إلا أياما معدودة، فكانت طفرةً منهم وفلتةً كأنهم في سباق مع غيرهم إليها ... لقد وضعت هذه السابقة التيار الجهادي عموماً على المحك، فهل توافق القاعدة الأم على الخلافة؟ أم هو افتيات عليها وقطفٌ لثمرة زرعتها ورعتها وسقتها بالدماء لسنوات متوالية وها هي ترى نفسها خارج ساحة التمكين بل خارج دائرة الخلافة، وها هي تقام من غير مشورتها فضلاً على أنها تُستأمر فيها!! ... كل هذه المقدمات وغيرها مما خفي أدى إلى إجماع التيار على عدم قبول هذا الاستخلاف وعللوا هذا الرفض بأسباب وحاصلها يدور على أمرين:

الأول: أن الحُجَّاج لم يشاوروا أهل الحل والعقد وكانت البيعة فلته من أهل العراق، وهو افتئات على أهل الشأن وأعلام الأمة!، وأخذ هذا الموضوع حيزاً واسعاً من النقاش في شرطية الشورى لمجموع أهل الحل والعقد باعتبار أن جزءا منهم موجود في الدولة لم يبرزهم للعلن لدواعي أمنية!! ... وهذا امتداد للخلاف الحاصل قبل أشهر من خروج الدولة على الطاعة وما ترتب عليه من التفرد بالإمامة وإعلان الخلافة، ومن ثَم امتداد الخلاف إلى جميع الجبهات، وفي ضمن هذه المستجدات سعت الدولة إلى سحب البساط

من تحت القاعدة بدعوة فروعها إلى بيعة الإمام وأنه من الواجبات الشرعية بعد خلع بيعة القاعدة التي هي بيعة تنظيم قطرية للقتال قد أفل زمانها.

الثاني: أنها خلافة الغلاة والخوارج وأنهم خرجوا على الأمة وطاعة أعلامها، وفيهم أبو عمر الكويتي المعروف بمنهجه الغالي وأبو جعفر الحطاب الذي كفر الحدوشي والكتاني في تونس وهو من طلبة الحازمي، وأبو مصعب التونسي الذي كفر أسامة بن لادن وطالبان في تسجيل له في دير الزور، وفيهم أبو مسلم المصري القطبي وأبو هاجر الوحيشي الخارجي وغيرهم من الأسماء ... فقد كان أعلام التيار يعرفون جيدا التوجه الشرعي للدولة قبل التمكين، ووسمهم لها بالغلاة والخوارج كان بناء على القول في مسألة العذر بالجهل والمتوقف في المشركين "العاذر" وحد أصل الدين وغيرها من المسائل التي كانت مطروحة على الساحة آنذاك.

وكانت هذه أهم الأسباب التي دعت القاعدة إلى رفض الاستخلاف وما كان لها أن توافق عليه أبداً بحكم التوتر الحاصل بين القاعدة الأمـ والفصيل المتمرد عليها "الدولة"، وما حصل على إثر هذا الفصال من حظوظ النفس والفصام النكد، بل تجاوزت القاعدة مجرد الرفض ودعت أنصارها إلى عدم الالتحاق بالدولة والخروج من صفوفها كما أفتى بذلك أعلامهم، وأصدر فروعهم بيانات رافضة لها سواء من اليمن والجزائر والصومال وغيرها، مع وجود بعض الأصوات النكرة التي كانت تبارك للدولة خلافتها، فكان خندقا واسعا لا يُرجى معه التسوية ولا عودة منه إلى الوراء.

الفصل الأول

وقفة مع الاتساع الأفقي المتسارع

إنَّ هذا التمكين في هذه الأرض الشاسعة والاتساع الأفقي المتسارع بين سوريا والعراق المتزامن بعد حادثة القتال مع الفصائل قد جاء قدراً، حيث لم تكن الدولة متهيئة له ولا طاقة لها على استيعاب كل هذه القرى والديار، وواقع التمكين أن جماعة مسلحة لها كيان سيطرت على مُدن وبلدات كانت خاضعة لنظام البعث وفلوله لعقود من الزمان، ولا ريب أن هذا الظهور لا يُصيِّر المجتمع البعثي [١] مُسلما بمجرد وضع لافتات عليها كلمة "إسلامية" على مقرات هذه الجماعة كالشرطة والمحكمة وغيرها، ولكن مفرق الطرق هو في الرؤية الشرعية لهذه الملايين من البشر وتصنيفهم والتعامل معهم بناء على هذه الرؤية، ولقد كانوا في التصور العقدي للدولة مسلمين كما قال العدناني مخاطبا لهم: "فإنا والله من أجلهم نفرنا وللذود عن دمائهم وأموالهم وأعراضهم جئنا وسنظل نحبهم ولو كرهونا وسنظل ننصرهم مهما خذلونا ونريد حياتهم ولو أرادوا قتلنا" ... وهذا أعلى درجات الولاء لهذه الشعوب والأقوام، فكان قيام الدولة على وهم كبير وكان البناء على هذه الجاهلية النكراء بعد تغييرهم للافتات من شعار "من الشعب وإلى الشعب" إلى شعار "المحكمة الإسلامية"، ونحن في هذا الكتاب لا نملك أن نناقش التيار

---

[١] وحتى تعلم أنه مجتمعا بعثياً انظر إلى ما جاء في قانون نقابة المعلمين السورية الذين هم المسؤولون على تربية الأجيال: المادة ٢- تعمل النقابة على تحقيق الأهداف الواردة في قانون النقابة الصادر بالمرسوم التشريعي /٨٢/ لعام ١٩٧٠ وتعديلاته وهي: أ- **النضال من أجل تحقيق المجتمع العربي الاشتراكي الموحد بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي.**

في هذه الأسماء الشرعية ومن أخصها الإسلام والجاهلية ثم تنزيلها على واقع الناس اليوم، ولقد أفردنا هذه المسألة العظيمة بالتأليف والتصنيف في كتابنا الهداية، وإن كنت في هذا الكتاب أناقش التيار الجهادي عموماً والدولة خصوصا في المنهج الحركي لها ونبين أن الخلل في التصور العقدي ولَّدَ انحرافا عظيما في المنهج الحركي لإقامة الدولة في الأرض، فضاعت جهود ودماء هَدراً ومضت عقود من الزمان هباء منثوراً، وقد ظهر للعيان في هذه النكبة الأخيرة أن الخلل عظيم فالاستئصال سنة كونية فيها آية ربانية على الانحراف والمباينة لأمر الله قال تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]، قال ابن كثير: "أَيْ: فِي الدُّنْيَا، بِأَنْ يُسَلَّطُوا عَلَيْهِمُ اسْتِيلَاءَ اسْتِئْصَالٍ بِالْكُلِّيَّةِ، وَإِنْ حَصَلَ لَهُمْ ظَفَرٌ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ، فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾"[١]، وإن كنا لا نستدل بالنتائج على فساد الأصول ولكننا مطالبين بالاعتبار من إهلاك الله لتلك القرى والديار قال تعالى: ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢].

إنَّ صنيع الدولة في تلك الديار إنما هو جريٌ على سُنَّةِ القاعدة الأم عند ظهورها على القرى والديار كما حصل في قرى أفغانستان وأبين اليمن ودولة العراق والصومال وغيرها، وهي نظرة التيار الجهادي عموما لهذه الشعوب وأنها محل لتحكيم الشريعة وإقامة الدين، الذي في تصورهم هو إقامة الحدود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في

[١] تفسير بن كثير ٢/٤٣٧

فروع الدين، وإن كان هذا من مقاصد الجهاد وواجبات التمكين ولكنه تصور ناقص عن التغيير المطلق في مثل هذه الجاهلية المعاصرة، فالمقصد الأعلى للجهاد هو دعوة الناس إلى الإسلام وإخراجهم من الظلمات إلى النور حتى لا يبقى إلا مُسلم أو مُسالم، وليس القتال لإقرار المشركين على سابق كفرهم وتسميتهم مسلمين بعد الظهور عليهم وإزالة معالم الشرك وأسلمة أهلها!!، فالانتساب إلى الإسلام مع البقاء على ملة الشرك واستدامته، وطاعة الطاغوت وعدم اجتنابه، وولاية المشركين وعدم البراءة منهم وتكفيرهم، لا يصير به المرء مسلماً فتكون بذلك دعوى لا تُصحح إسلامهم ولا يترتب عليها أحكامٌ في دين الله عزو جل، وهو انتسابٌ لا اعتبار له في الشرع، وأهله هم من أهل الشرك وملة الكفر سواءً بسواء، قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [التوبة: ١١]، عَنِ الرَّبِيعِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يَقُولُ: "تَوْبَتُهُمْ خَلْعُ الأَوْثَانِ وَعِبَادَتِهِ"، وعَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ قَوْلُهُ: "فَإِنْ تَابُوا مِنَ الشِّرْكِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَمْ تَقْتُلْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ"، وَرُوِيَ عَنِ الضَّحَّاكِ: "فَإِنْ تَابُوا مِنَ الشِّرْكِ"[١].

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧] عن عامر، قال: "قالت اليهود: إبراهيم على ديننا. وقالت النصارى: هو على ديننا. فأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا

[١] رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٩٢٧٢ و٩٢٧٣

نَصۡرَانِيّٗا﴾ الآية، فأكذبهم الله، وأدحض حجتهم - يعني: اليهودَ الذين ادّعوا أن إبراهيم ماتَ يهوديًّا". وعن الربيع مثله" [١].

فنسبة اليهود والنصارى وعُبَّاد الأوثان أنفسهم إلى ملة إبراهيم لم يصحح دينهم، ولا اعتبار له في الأسماء ولا في الأحكام، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٠] ، قال البغوي: "قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ﴾، أَيْ: خَاصَمُوكَ يَا مُحَمَّدُ فِي الدِّينِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى قالوا: ألسنا عَلَى مَا سَمَّيْتَنَا بِهِ يَا محمد وإنما الْيَهُودِيَّةُ وَالنَّصْرَانِيَّةُ نَسَبٌ، وَالدِّينُ هُوَ الْإِسْلَامُ وَنَحْنُ عَلَيْهِ؟، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ﴾، أَيِ: انْقَدْتُ لِلَّهِ وَحْدَهُ بِقَلْبِي وَلِسَانِي وَجَمِيعِ جَوَارِحِي، وَإِنَّمَا خُصَّ الوجه لأنه أكرم الجوارح للإنسان، وَفِيهِ بَهَاؤُهُ فَإِذَا خَضَعَ وَجْهُهُ للشيء فقد خَضَعَ لَهُ جَمِيعُ جَوَارِحِهِ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: مَعْنَاهُ أَخْلَصْتُ عَمَلِي لِلَّهِ، ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ﴾ أَيْ: وَمَنِ اتَّبَعَنِي فأسلم كَمَا أَسْلَمْتُ ... وَقَوْلُهُ: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ﴾، يَعْنِي: الْعَرَبَ أَأَسْلَمْتُمْ، لَفْظُهُ اسْتِفْهَامٌ وَمَعْنَاهُ أَمْرٌ، أي: وأسلموا، كَمَا قَالَ: ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، أَيِ: انْتَهُوا، ﴿فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ﴾، فَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ **فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ**: **أَسْلَمْنَا**، فقال لليهود: أتشهدون أن عزيزا عبده ورسوله؟ فَقَالُوا: مَعَاذَ اللَّهِ [أَنْ يَكُونَ عزيز عليه السلام عبدا]، وَقَالَ لِلنَّصَارَى: أَتَشْهَدُونَ أَنَّ عِيسَى كَلِمَةُ اللَّهِ وَعَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؟ قالُوا: مَعَاذَ اللَّهِ

[١] رواه الطبري برقم ٧٢١١

أَنْ يَكُونَ عِيسَى عَبْدًا، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾، أَيْ: تَبْلِيغُ الرِّسَالَةِ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ الْهِدَايَةُ، ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾، عَالِمٌ بِمَنْ يُؤْمِنُ وَبِمَنْ لَا يُؤْمِنُ" [١].

وإن من المفارقات بل ومن المستحيلات أن تقام دولة إسلامية بمنظور صحيح على مجتمع جاهلي قد نشأ على الكفر والشرك منذ نعومة أظفاره، إذ كيف يقام دين الله في أرض أهلها عبيد للطواغيت لعقود وأزمان قبل فطامهم عن الجاهلية ودعوتهم إلى الإسلام الصحيح وإزالة العبودية لغير الله من القلوب ومسح آثارها ورواسبها من الوجود، وكيف يمكن الانتقال من ديانة إلى ديانة دون البراءة الكاملة، ونحن لما نقول إن هذه الشعوب مغيبة عن دين الله هي حقيقة شرعية كما أنه واقع لامسه كل من عرف الإسلام واحتك بهذه الشعوب عن قرب بعد التمكين من خلال الدعوة والاحتساب والقضاء والتعليم، فمن باشر هذه الولايات عرف أن هؤلاء الناس جهال بلا إله إلا الله لا يعرفون من دين الله ما يصحح لهم أصلهم، إنها حقيقة وقف عليها كل من باشر تلك الولايات ولا ينكرها إلا جاحد أو مكابر.

وقد وقعت إشكالات كبيرة جدا على إثر هذا التركيب ــ تنزيل الأحكام الشرعية على فاقدي الأصول الإسلامية ــ اصطدم بها هيئة الإفتاء والقضاة المحتسبين والدعاة في الدولة وسيأتي ذكر بعض الشواهد على هذا، وإن كان مثل هؤلاء الجاهليين غير مخاطبين بفروع الشريعة بل هم مخاطبون بأصولها، ونحن مخاطبون أن نسميهم باسمهم الشرعي

[١] تفسير البغوي ١/٤٢٢)

وأن لا نغشهم في دينهم فإن منهم الكثير ممن يظن أنه يدين بدين الإسلام وهو في غير دين الإسلام ولا يدري، قد خدعه وغشه من قال له أنك مسلم وخاطبه بخطاب الإسلام ودعاه إلى الجهاد، والكثير منهم عنده استعداد فطري لقبول الحق وإجابة داعي الهدى لو دُعِيَّ إليه، بل للدولة السلطان الذي يأطر الناس على الحق أطرا فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، والله عزَّ وجلَّ مكَّنَ لهذه الجماعة للغاية العظيمة والحكمة السامية، مكَّنَ لها لتُخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد وليس أن تقرهم على عبادتهم للعباد وتسميهم مسلمين وهم يجهلون حقيقة الإسلام وحقيقة ما كانوا عليه من الدين الباطل!، وفي المقابل فقد كانت هذه المجتمعات الجاهلية تنظر إلى الدولة ــ التي قامت على المهاجرين في الشام ــ وهي تأمرهم وتنهاهم بما يخالف ما ألفوه من منكرات وتحول بينهم وبين الشهوات، إلى احتلال ذو جنسيات مختلفة، والعبارة التي سمعها الكثير من المهاجرين حين احتسابهم على المتبرجات هو قولها: تركتم النساء في بلادكم متبرجات وجئتم لتأمرونا بالحجاب والنقاب!.

وهل ينفعهم الالتزام بالأمر والنهي ظاهراً وهم مشركون لم يحققوا الاستسلام لله في العبادة والطاعة والاتباع، وكيف يُحمَلُون على فروعه أطراً وهم كارهين تاركين لأصله دهرا !، فالمسلمون إذا خَلَصَت نُفوسهم لله وذلت له واستسلمت له بالتوحيد وأفردته بالاتباع والتلقي والانقياد، أصبحوا لا يجدون في نفوسهم خِيَرَة إلا فيما يختاره الله لهم، وحينئذٍ يرتفعون عن رذائل الجاهلية ويأتمرون بأوامر الله لما يخاطبهم بنداء الإيمان فيُطَاع الله في أمره ونهيه لتَحَقُقِ كمال الاستسلام والحب لله تعالى في القلوب.

إن نقطة البدء لم تكن في إقامة الفروع والحدود وحمل هؤلاء الجاهليين على أداء الحقوق الشرعية، بل كانت في إقامة المجتمع المسلم الذي هو محل لتنزيل هذه الأحكام وأداء الحقوق، ودعوة هؤلاء الجاهليين للإسلام أو الجزية [١] بعد تعريفهم بحقيقة أمرهم وتوصيفهم بحقيقة وصفهم.

وفي مثل واقع الدولة والاتساع الأفقي لها قد تحتاج إلى جيش من الدعاة لا من المقاتلين وهم في الأصل اللبنة الصلبة للجماعة المسلمة، ولكن لا قاعدة كانت للدولة على هذا الأصل، فقد كانت تَجمُّعاً للقتال لا للدعوة ولم تكن هناك تهيئة عقائدية ولا دعوية لإقامة الأمر على أصله، وهذا أعظم هُوَّة سقطت فيها الدولة وهو أكبر صدام وقع بين شرعييها في هذه المسألة العظيمة، واستقر الأمر ــ بعد إجراء السيف ــ على أن هذه الملايين من البشر قد صارت رعايا "لأمير المؤمنين" وتكفيرها هو بالضرورة تكفير

[١] عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: "اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، **وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلَالٍ - فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، **فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ**، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ لَا" "وَهَذَا مِمَّا يَسْتَدِلُّ بِهِ مَالِكٌ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَمُوَافِقُوهُمَا فِي جَوَازِ أَخْذِ الْجِزْيَةِ مِنْ كُلِّ كَافِرٍ عَرَبِيًّا كَانَ أَوْ عَجَمِيًّا كِتَابِيًّا أَوْ مَجُوسِيًّا **أَوْ غَيْرِهِمَا**" شرح مسلم ٣٩/١٢

للإمام نفسه وهذه المقالة ــ تكفير المشركين المنتسبين ولازمها ــ تُهمةٌ حُكمها القتل في الدولة، فالفصل في هذه المسألة هو الذي حدد توجه الدولة الشرعي والحركي على المسار القديم لها، وقد اختارت الدولة زوالها ووضعت قدما إلى الفناء بعد الفصل في هذا النزاع، ولم يكن للدولة خيار في هذه المسألة حيث أنها منذ تأسيسها كانت هي النظرة ذاتها في هذه الشعوب، وقد فصلها الزرقاوي بخطاباته في الأمة الغالية والشعوب المسلمة، والبغدادي الضابط من بعده، وأبيد من أجلها جماعة ديالى فليس هناك مجال للمداهنة فيها بعد النصر والتمكين، وإن كان المدُّ القوي الذي بايع الدولة قبل التمكين بأصوله المعروفة هو الذي أثار هذه المسائل وفاصل فيها، وإن كان له مقال قبل التمكين فلم يكن له إلا السيف بعدها، فالمنهج مرسوم والطريق مُعبد على جنباته العبوات والداخل دخيل ولم يكن هناك مجال للإصلاح أو التغيير فالانحراف كلي والصدام قوي ولا مجال للتعايش بعده إلا بقطع إحدى الطائفتين، والسيف قد وقع على المنهج الجديد وكان العلاج ككل مرة بالكي والحديد.

الفصل الثاني

الصدام الشرعي في الدولة بعد التمكين

كانت أعلى هيئة شرعية إبان التمكين هي: "الهيئة الشرعية" التي على رأسها أبو علي الأنباري وفيها أبو زيد العراقي وأبو بكر القحطاني وأبو جعفر الحطاب، والتي كانت تحال إليها جميع القضايا الشرعية في الدولة، ومن أبرز أعمالها عقد الذمة مع النصارى الذي تولاه الأنباري والبيان الذي خرج في حكم أحرار الشام وحكم إقرار القبر التركي على أراضي الدولة وغيرها، وفي هذه المرحلة نشب صراع قوي في هذه الهيئة في مسألة المتوقف "العاذر" وحد أصل الدين وحكم جاهل التوحيد وحكم من لم يكفر طاغوت قومه، بين القحطاني والحطاب وكلٌّ منهما كان يمثل تياراً بارز في الدولة ومدرسة من المدارس التي ستقرر الدولة عقيدتها: بين مدرسة القاعدة الأم ومدرسة أبي عمر الكويتي، ومن جهة أخرى كان صراع إداري في الهيئة بين الأنباري الذي يريد الإبقاء على الهيئة الشرعية كمركزية شرعية للدولة والقحطاني الذي يريد تدوين الدواوين وإلغاء عمل الهيئة، وانتهى هذا النزاع بتدوين الدواوين وإلغاء الهيئة، وقد كان القحطاني له تأثير عجيب على البغدادي وكانت له الجولة في كل الصدمات في هذه المرحلة ... وفي خِضَّم هذا النزاع عُقدت مناظرة بين يدي البغدادي بين القحطاني والحطاب في المسائل المتنازع فيها.

وقد حدثني القحطاني عن المناظرة التي وقعت بينه وبين الحطاب بين يدي البغدادي ــ والعهدة عليه وإن كان خصماً ــ في مسألة العاذر فقال أنه أسكت الحطاب بسؤاله

عن الثالث فكفره الحطاب وتوقف عنده، فسأله عن علة التوقف عند الثالث فقال: أقلد في ذلك أئمة الدعوة النجدية، فقال القحطاني كيف وأنت لا ترى التقليد في أصل الدين وتكفر المقلد في ذلك وها أنت تقلد في مسألة من مسائل أصل الدين!!، قال فخُصم الحطاب وأمره البغدادي بالذهاب إلى العراق [١]،ولكنه لم يمكث طويلا حتى عاد إلى الشام ... ولكني أُخبرتُ أن البغدادي لم يُمكِّن الحطاب من التأصيل والكلام وضيق عليه الخناق وفسح المجال للقحطاني ووعدهم بمجلس آخر ولم يوفي به، وكانت المسألة محسومة عنده لصالح تيار القحطاني والمناظرة شكلية، ويزداد الأمر غرابة حينما تعلم أن البغدادي قد وافق الحطاب في تأصيله من قبل وأقره عليه ثم انقلب عليه، فقد أخبرني أبو داوود المغربي أن الحطاب دخل على أبي عمر الكويتي في الباب وبشره أن الإمام يقول بقولنا في مسائل النزاع، قال المغربي فاستنار وجه الكويتي واستبشر بذلك.

وأقول: لعله حين وافقه لم يكن يعرف أصل المسألة ولا أبعادها وما يترتب عليها، وهذا حال العراقيين عموما فهذه المسائل جديدة عليهم كالأنباري وعبد الناصر وأبو زيد والفرقان وغيرهم ... وإن كان الأنباري تأثر بالحطاب في طرحه وكان مائلا معه كتأثر البغدادي بالقحطاني، وقد كان تيار الحطاب معه أسماء ليس لها ثِقلُ غيرها من خصومها في الدولة كأبي مصعب التونسي وأبي عمر الكويتي وأبي الحوراء الجزائري وأبي

[١] وهذه طريقة الحُجَّاج في إسكات بعض الأصوات التي تحمل نَفَس لا يوافق سياستها كما فعلوا مع أبي محمد الأزري وجماعة الحسبة الجزراوية وأبي رامي الجزراوي وأبي البراء القاضي وغيرهم الكثير فالعراق تكون مقبرة هؤلاء وابعادهم عن الشام التي هي ساحة ومسرح النزاع.

محمد التونسي وأبي خالد الشرقي وأبي محمد الداغستاني وأبو أسيد المغربي وأبو هاجر الوحيشي وأبو عبد الله المغربي وغيرهم، أما تيار القحطاني فقد كان فيه الملأ كلهم وهم الكثرة الغالبة.

وكلٌّ من الطائفتين قد بايع الدولة وهو يحسب أنها على منهجه تقول بقوله، وسياسة الدولة التجميعية كانت تقتضي إظهار الموافقة للجميع ولا مجال لذلك بعد التمكين، إذ بعده مباشرة وقع الصدام بين الطائفتين في مسائل مُؤداها إلى تكفير الأقوام والشعوب وبالتالي تكفير أمير رعية المشركين، وإلا ليست مسألة العاذر بطرحها القديم يتعلق بها النزاع الشديد وعدم الوفاق في دولة لا تعذر بالجهل في شرك العبادة، فالدولة على طرح الحازمي لا تدخل في حد العاذر الذي يحصره في العذر في شرك القبور ويُخرِج منه شرك القصور ... وإن كان الحطاب ومن معه خرجوا على تأصيل الحازمي في تفريقه بين شرك القبور والقصور وتأصيله الإسلام في دور الكفر، وإن كنا نقول إن نظر الحازمي في المسائل ككل غير سليم وطرحه سقيم، فضلا على أنه لم يقو على حمل تبعات أقواله فرقَّعَ مذهبه خوفاً من ثورة العامة كما حصل له في مصر، وفرقاً من طواغيت العلم في مكة حيث أنه أسلم رؤوس العاذرية طواغيت العلم كابن عثيمين وغيره، وإن كان هو بطرحه القديم طاغوت مصحح لدين المشركين في الطاعة والحاكمية.

لقد كان الفصل سريعاً فامتدت اليد القذرة ــ ديوان الأمن ــ إلى اعتقال رؤوس "الغلاة" المذكورة أعلاه وكما يقول حَجَّاج الشام "أبو محمد العدناني": لنا خبرة في التعامل مع الغلاة وديالى شاهدة" ... واعتُقل في هذه المحنة الكثير من أبناء هذا التيار

وقتل منهم المئات وكانوا يُمتحنون في مسائل المتوقف والشعوب وهل تكفير المشركين من أصل الدين؟ بل كانت المحنة في هذه الفترة بالظواهري كونه مثال للعاذر ـــ إذ هو عاذر للرافضةـــ وأطلقت الأيادي الحاقدة في المهاجرين سجناً وقتلاً ولم ينج منهم إلا من رحم الله أو كانت له شفاعة، وإن كان البغدادي قد وقف بنفسه على قتل أبو جعفر[١] وقبله أبو عمر الكويتي ومن معهم، يقول القحطاني أنه دخل عليه بيته الساعة ١٢ ليلا يبشره بقتل "الغلاة"، أما حَجاج الشام ـــ أبو محمد العدناني ـــ فقد كان أشد الناس على هذا التيار وما أُسست كتيبة الصديق إلا لقتالهم وهو الذي اقتحم عليهم ناديهم في دوار النعيم في الحادثة المشهورة، وكذلك جزار الشام الطاغية السفاح أبو لقمان الرقاوي الذي كان قائماً على فَتن وقتل الأتباع في سجونه، وعنده الضوء الأخضر بتطهير الصف من "الغلاة" وأسوار معمل السكر والملعب وقلعة جعبر شاهدة بذلك والقصص الدامية كثيرة وهي متواترة، بل قد أبيدت كتيبة الأذر التي كان عليها أبو خطاب الأذري الذي جاء إلى ديوان الإفتاء بعد سجن الرؤوس يريد معتقد الدولة مكتوباً ومعه أبو أحمد الداغستاني يناقش عنه في المسائل، وكان رجلاً صلباً في دينه يريد المفاصلة على مذهبه ويقول إن كتيبته قد وضعت السلاح في كوباني إلى حين النظر في معتقد الدولة، فكان جوابه طلقة في رأسه هو وطائفة كبيرة ممن كان معه، والباقي تم ترحيلهم بأزواجهم إلى العراق فقتلوا في أثناء الطريق على إثر قصف طيران التحالف لموكبهم ...

[١] أبو عمر الكويتي اعتقل في أغسطس ٢٠١٤ وتم قتله في سبتمبر من العام نفسه، وأعقبه قتل أبو جعفر الحطاب في ٧ مارس سنة ٢٠١٥ وتم اعتقاله مع مجموعة أخرى من الغلاة في أغسطس سنة ٢٠١٤.

فمن نجى من سيف الحجاج قُتل بطائرات الصليب على طول الطريق ... فحسبنا الله ونعم الوكيل.

ومن بقي من أبناء التيار بعد جريان السيف إما رجل قد فُتن وغيَّر إلى قول موضع القوة، أو وضع قدماً إلى الخروج أو رجل مصدوم يريد أن يصدق كذب الحُجَّاج أنهم قتلوا هؤلاء لخروجهم على الدولة لا لمعتقدهم!! وإن كان السيف قد سُلِّطَ على المهاجرين فقد كان تعزيز الأنباري إلى الأنبار واستُعمل بعد ذلك على خزائن الدولة، أما المهاجرين فلا بواكي لهم إلا أزواجهم اللاتي لا يعرفن مصيرهم إلا من تصدق عليهم ديوان الشرك والظلم ببعض الدولارات وأمرها بحساب العدة وإعلان الحداد.

وهكذا طويت صفحة أخرى غادرة في تاريخ دولة الغدر وكانت هذه الدماء التي أريقت من أبناء هذا التيار قُربانا للتيار الجهادي لتلميع الصورة المشوهة عندهم، وذلك بإخراج الخوارج من صفوفها بل إخراجهم من الدنيا كلها، ولسان حالهم: ها قد قتلنا الكويتي والحطاب الذين كنتم ترموننا بهم بالتطرف المنهجي والغلو فماذا أنتم ناقمون بعد ذلك؟، وإن كان حجاج الشام قال قديما: "وإن من اعتقادها ــ أي الدولة ــ ومنهجها وما تدين الله به: أن عموم أهل السنة والجماعة في العراق والشام مسلمون لا نكفر أحدا منهم إلا من ثبت لدينا ردته بأدلة شرعية قطعية الدلالة قطعية الثبوت ومن وجدناه من جنود الدولة يقول بهذه البدعة علَّمناه وبينا له فإن لم يرجع عزرناه فإن لم يرتدع طردناه من صفوفنا وتبرأنا منه وقد فعلنا هذا مراراً كثيرة مع مهاجرين

وأنصار" [١]، وكذب عدو الله فقد ولغ في دماءهم حتى الثمالة، وصدق فيهم أبو عمر الكويتي حين قال لهم: إن كنتم تقولون عنا أننا: غلاة في الأسماء فأنتم غلاة في الأحكام.

أسكت السيف الجميع وخمدت المسائل فلا تجد بها قائل ولا عنها مجادل، وصفا الجو لأتباع القاعدة الأم وخلت لهم الساحة واستقام لهم الأمر وسُلمت لهم الولايات وقلدت لهم الأوسمة والعلاوات.

[١] مقطع من كلمة: "لك الله أيتها الدولة المظلومة"

الفصل الثالث

تدوين الدواوين وهيكلة الدولة

بعد إعلان الخلافة بأيام تم تدوين الدواوين وتقسيم الولايات وتقطيع القواطع وتنصيب الولاة والأمراء، فاستلم ديوان القضاء أبو مسلم المصري وديوان البحوث والافتاء تركي البنعلي وديوان التعليم عثمان آل نازح، وديوان الحسبة أبو بكر القحطاني وديوان الدعوة أبو الحسن الجزراوي وديوان الإعلام أبو محمد الفرقان وديوان الأمن أبو لقمان السفاح وديوان الزكاة أبو محمد العراقي، وعلى رأس الهرم اللجنة العامة المشرفة وسيأتي تفصيل القول في عمل هذه الدواوين تباعاً، ولما استحرَّ القتل في جماعة الحطاب وكان تعامل الأمن مع الملف تعامل استخباراتي جاف وحصلت تجاوزات كثيرة، حيث قُتل تبعاً من لا علاقة له بهذا الفكر وأُخذ بالشبهة والوهم وفاحت رائحة السفاح الذي ولغ في هذه الدماء، سَلَّم البغدادي الملف للقحطاني فلا يُقتل أحد إلا بعد الجلوس معه ومناقشته في المسائل كلجنة مناصحة في السجون لضبط المسائل بعد انفراطها.

كل تلك الدماء التي أريقت والدولة لا قول لها ثابت وتأصيل لها واضح في محل النزاع، فبعد مدة السكون التي ولدتها الدهشة من مصير المخالف والوحشية في التعامل معه، ثارت المسائل مرة أخرى ولكنها بلا رأس، بل هي كالصدى تسمعه ولا تعلم له قائل ... وفي هذه الفترة ـ أواخر ٢٠١٤ ـ شاعت شائعة مفادها أن هناك جماعة تريد الخروج على الدولة، ومن ضمن الإجراءات التي اتُخذت على إثر هذه الواقعة، استنفَرت اللجنة من

يُستفتى في الدولة وكان آنذاك البنعلي في العراق وأبو محمد الأزدي في كوباني فاجتمع القحطاني وأبو مالك التميمي وأبو مرام الجزائري وأبو مسلم المصري وأبو المنذر الحربي وكان أبو حفص المصري نائبا لوالي الرقة مشرفاً على هذه المجالس التي دامت ثلاثة أيام نُوقشت فيها مسائل المتوقف "العاذر" والشعوب والتحاكم للضرورة، وكان خلاصة القول فيها بعدم تكفير المتوقف في المشركين إلا بعد البيان والتعريف ــ إقامة الحجة ــ، وأسلمة الشعوب وتكفير المتحاكم للضرورة، وإن كان مسألة التحاكم للضرورة أثارها البنعلي في محاضرة له للأذر في مقر الإفتاء، فأفتى بقوله القديم بجواز التحاكم للطواغيت عند الضرورة وهو القول المتقرر عند القاعدة الأم، فأحدث شرخاً جديداً ومستمسكاً على الدولة باعتباره يمثل هيئة الإفتاء، فما كان من الحُجَّاج إلا تغييبه عن الساحة مؤقتاً بإرساله إلى العراق خوفا عليه من الغلاة كما زعموا، وفي الحقيقة أن البنعلي كان عليه شبهات أمنية عند الحُجاج وكان عندهم محل شك وريبة حيث أنه دخل الشام وبايع البغدادي ثم خرج من الشام ودخل بعد ذلك إبان التمكين، بالإضافة إلى علاقته المريبة مع المقدسي ولم يشفع له كتاب ـ"هذا فراق بيني وبينك" وقبله كتاب "مُدوا الأيادي لبيعة البغدادي".

وبعد كتابة البيان في هذه المسائل على إثر هذا النقاش في تلك المجالس ورفعه للجنة المشرفة ثم تكليف القحطاني و أبو مالك التميمي بعقد مجالس علمية في بيان قول الدولة في هذه المسائل، فعقدها التميمي في مسجد النور والقحطاني في معقل التونسيين في مسجد الفردوس، وبعدها عاد السكوت والسكون مرة أخرى ليس لأن المخالف

قد اقتنع بالحجة والدلائل في تلك المجالس بل لأن الدولة كانت عازمة على إعادة الكرة بعد البيان وإقامة الحجة ــ أقصد عقد المجالس ــ ولم يُسمع ذاك الصدى فأصحاب الأصوات حلوقهم قد قُطعت وأنفاسهم قد قضت ... حقاً لقد كان فقه هذه المسائل تحت ظلال السيوف ليس على الأرائك وتحت المكيفات بل في سجون السفاح ودرب الكفاح، ورغم كل ذلك البطش والقمع ومصير المخالف لقول السلطان الذي هو السجن والقتل، كان الحق يتسلل إلى قلوب الكثير رغم اضطهاد أهله والكتم على أنفاسهم وعلو صوت الباطل وسلطان أهله.

والنظر في الملف الشرعي للدولة يجرنا إلى النظر في دواوينها الشرعية وهذه وقفات معها:

المطلب الأول: ديوان القضاء والمظالم

استلمه أبو مسلم المصري وكان قاضي الجماعة قبل التمكين وشغل القحطاني نائبا له في بعض الفترات، وكان أبو مسلم متأثرا بفكر سيد قطب يقول بقوله في تكفير المجتمعات ولم يكن يأكل لحوم العوام في حلب، فقد حدثني أبو حفص المصري أنه كان قبل التمكين إذ أراد قتل شخص لم تكتمل فيه البينة امتحنه في أصل الدين وقتله بالجهل به، وله شطحات كثيرة فيوسع العذر في مسألة التحاكم ويجيز فيها صور كثيرة: كالتحاكم في مسائل غير منصوص عليها في رد المظالم ونحوها وله بحث مشؤوم في ذلك، وهو غير منضبط في مسألة حد أصل الدين والمتوقف وكأنها كانت جديدة عليه حين أثيرت في الساحة ... وهو رجل متلون طأطأ رأسه للعاصفة الأولى ودخل في دين البغدادي، وأراد في بادرة أمر الديوان أن يُنشئ شرطة قضائية على الولاة واصطدم معهم

اصطداماً قويا، فكثرت الشكاوى عليه ... ولما أعلن عدم رؤية هلال العيد ثم تعقبته اللجنة في وقت متأخر برؤية الهلال ثارت ثائرته وكانت نهايته، وربطت اللجنة مسألة عدم اثبات الشهادة في هلال العيد مع مسألة عدم أكله للحوم ـ حيث أنه امتُحن في ذلك في مأدبة بحضور اللجنة فلم يأكل منها ـ فأُرغم أنفه وكسر قرنه وعُزر إلى الفلوجة واستلم بعده الأستاذ زيد العراقي وكان نائبه أوس النجدي أبو الحارث.

والقضاء في الدولة كان على قسمين:

الأول: هو قضاء "الرعية" ـ أو ما يسمى في الدولة بالعوام ـ وقد قُسِّمت هذه المحاكم إلى تخصصات وكانت ولاية القضاء على هذه التخصصات وهي: قضاء الحدود والجنايات، وقضاء المعاملات ويدخل فيها المواريث والعقارات ثم فصلت هذه الأخيرة، وقضاء الإصلاح الأسري، وهذا التقسيم هو استيراد للنموذج السعودي للقضاء، وكان على محكمة الرقة أبو البراء المدني وبعده أبو إسماعيل المصري وأبو مالك المدني وعلى حلب أبو عمر المصري وبعده أبو حذيفة التونسي وعلى قضاء دير الزور أبو مودة المصري وبعده أبو عبد الله الكويتي وبعدهم أبو محمد التميمي وعلى حمص أبو مصعب التونسي وبعده أبو سارة الجزراوي وعلى الشدادي أوس النجدي وأبو عائشة الجزائري وعلى الفرات ميسرة الجزراوي وغيرهم ممن تداول على القضاء في الولايات.

الثاني: وهو قضاء الدولة مع المدعين عليها، أي: أن تكون الدولة بمراكزها كطرف نزاع ويمثلها ادعاء عام، أو القضايا التي تُرفع على الدولة كمظالم [١] فهذه إما أن تحال

[١] ثم أُنشئ بعد فترة مكتب المظالم وكان عليه أبو إسحاق العراقي وهو مكتب مفصول إداريا عن ديوان القضاء.

إلى قاضي الولاية أو ديوان القضاء أو المحاكم الخاصة كمحكمة بيت المال ــ الركاز ــ أو المحكمة الأمنية أو محكمة الجند على حسب الاختصاص.

وقد كان ديوان القضاء يعاني من إشكالات كبيرة سواء في الفراغ القضائي في المدن والقرى لعدم وجود قضاة مؤهلين للقضاء، فمن مدينة الرقة إلى الميادين لا توجد محكمة إلا التي أُحدثت بعد فترة في الشميطية، ولا يوجد بين ذلك إلا وكلاء ادعاء في مراكز الشرطة في بعض القرى يحكمون بغير ما أنزل الله لجهلهم بما أنزل الله!! بالإضافة إلى أن هذه المحاكم أقيمت على أنقاض المحاكم الطاغوتية فالبينات المبرزة في العقود والأملاك حال الخصومات والنزاع كلها إما قضاء وضعي أو توثيق وضعي، فكيف يُبنى قضاء شرعي على قضاء وضعي! والمتحاكمين هم أنفسهم من كان يتحاكم بالأمس عند محاكم النظام، بل القضايا التي رفعت للنظام ولم يُفصل فيها أعيد رفعها للدولة بنفس الأشخاص والملفات والبينات ويتم التعامل معهم كمسلمين رعية "لأمير المؤمنين"، بل أزيدك من الشعر بيتا أن من الطواغيت من لم يُستتب في الدولة بل استعملوا فيها على نفس عملهم القديم، ومثاله: مكتب العشائر والعلاقات العامة الذي بتجمع فيه مختاري العشائر ووجهاء القبائل ويُنفق عليهم آلاف الدولارات لعقد العزائم والولائم تأليفا لقلوبهم وتسمينا لبطونهم، بل تحال عليهم القضايا الكبيرة كقضايا الأراضي والعقارات والديات التي الخصومة فيها بين أطراف عشائرية أو دون ذلك بمعاملة رسمية من الدولة عنوانها "صك تحكيم" فيحكُمُ هؤلاء الطواغيت في القضايا المحالة إليهم على نفس حكمهم القديم وينفذ فيها قضاؤهم، وقد وقفت على

هذه الصكوك والإحالة إلى الطواغيت من طرف أبو إسماعيل المصري وأبو مالك المدني فهالني ما رأيت ولا شك ولا ريب أن هذا كفر بواح وشرك صُراح بوثيقة رسمية من الدولة.

محكمة الركاز

إنَّ الصدام الأقوى الذي كان بين القضاة من طرف والولاة والحُجَّاج وأهل الوصاية على الجهاد في الطرف الآخر، وهو في القسم الثاني من أقسام القضاء السابق ذكره، أو في المحاكم الخاصة كمحكمة الركاز التي أنشئت بعد فترة من تأسيس ديوان القضاء بعد أن فاحت رائحة الظلم في هذا الديوان الذي يمثل عصب الدولة، واستلم القضاء فيها أبو الحارث النجدي بعد أن ترك نيابة ديوان القضاء، وكان الركاز له سجن ومحققين وجاهل يسمونه شرعي تابع لديوان الركاز يقضي بلائحة من اللجنة فيها تعازير مُقننة على صورة: من سرق برميل نفط يعزر ب٥٠٠٠ دولار ومن سرق برميلين يعزر ب١٠٠٠٠ دولار وأنت صاعد ... وطبعا في مسلخ الركاز: "ستعترف حتما وستدفع"، فقد كانت سمعةُ سجن الركاز أشد رعباً من سجون الأمن واسأل عنه تُجار النفط ... فلم يستطع أوس النجدي تصحيح هذا الواقع الوضعي المقيت وسرعان ما طلب الاعفاء وأصر عليه واستلم بعده أبو مرام الجزائري وكذلك سرعان ما نُصبت له الفخاخ من طرف أبو خطاب العراقي وعصابة الركاز حتى لا يقوم للقضاء بينهم قائمة فهم يريدونها غابة، فكانت دولة الركاز "الإسلامية" ترفض أن تُحكَم بشرع الله.

المحكمة الأمنية

سبق الإشارة أنَّ أصل وضع ديوان الأمن هو كوضع جهاز الاستخبارات في الأنظمة الطاغوتية نحو القذة بالقذة بل أشد، فَمِن الديوان نفسه الأمر بالاعتقال إلى سجونه ومنه التحقيق مع من يَدّعي عليهم ومن طرفه القضاء على خصومه، فهو المحقق والمدعي والحاكم في حقيقة الأمر، وليس هناك مدة محددة للتحقيق كما أنه ليس هناك آلية محددة للعذاب الشديد، فالغاية هي الاستنطاق تبررها أي وسيلة تؤدي إليها في سجون الأمن، وإن كان في النظام الوضعي يتم تحديد مدة التحقيق ثم يحال المدعى عليه إلى سجن تابع لهيئة السجون الذي هو جهاز مستقل عن الاستخبارات ــ كما يزعمون ــ أما في ديوان الأمن ليس هناك ذاك الفاصل فقد تقضي مدة التعزيز كلها عندهم في سجون التحقيق التي قد تصل إلى السنة إن بقيت على قيد الحياة ... ولم يكن هناك قضاء خاص بالأمن تُحال إليه جميع القضايا والملفات وله السلطان على السجن يتصرف فيه بمقتضى الولاية، بل الأمن غالبا ما يستقضي في بعض القضايا قاضي الولاية كأمن المراكز أو قاضي الديوان أو أميره على حسب نوع القضية وتصنيفها، فيدخل القاضي إلى سجونهم للقضاء في قضايا محددة وليس له ولاية في غيرها ولا سلطان له على المسجونين، وربما نفذ قضاؤه وربما لم ينفذ! على حسب ما يراه الأمن، فإن أراد نقضه اعترض عليه ورفع به إلى اللجنة ليعاد النظر في القضية ... والقاضي الداخل على ديوان القضاء يجلس في مجلس القضاء وتُقدم له القضية جاهزة ولا علاقة له بالتحقيق وطريقة الاستنطاق، وهذا خلل عظيم في هذا المجال فإن المحقق خصم من طرف الإدعاء يُجهِز القضية على ما يريد أن تُحكم به، وكثيرا ما يقول المحقق

للمتهم: اعترف بما في الإفادة وسيستتيبك القاضي ــ وهذا عند حضورهم مجلس القضاء ــ فيقتلهم القاضي بناء على الإقرار الذي أُخذ بعد التعذيب والتغرير... وإن كان المحقق تحت نظر القاضي ومتابعته قد يخرج عن أساليب التحقيق الشرعية، فما بالك إذا خلا له الجو في أقبية الأمن ودهاليز المنفردات.

أما القضايا الأخرى ذات الطابع السياسي أو المنهجي فهذه تقضي فيها اللجنة أو البغدادي حصراً، وصورة ذلك أن الأمن يُحقق في قضية منهجية بنَفَس أمني ثم يرفعها إلى اللجنة، ومنها ما يُحكم فيها قتلاً سياسة وتعزيراً بدون أن يجلس القاضي مع المدعى عليه، بل الحكم على مقتضى الملف المرفوع إليهم من الأمن، فلا يوجد مجلس قضاء غالباً بل الحكم على مقتضى ما تنطق به في زوايا المسلخ.

وإن هذا القضاء لا يندرج تحت مسمى الحكم بغير ما أنزل الله في القضية أو القضيتين، بل أصل وضع القضاء كله على غير ما أنزل الله، إنه ليس تغيير وتبديل في الأحكام بل في أصل وضع النظام القضائي كله، النظام الذي لم يوضع على الميزان الشرعي بل على الميزان الوضعي الظالم، على غرار القضاء الشرعي الذي يوضع على ميزان الإنصاف والعدل، فالقضاء له سلطان مستقل عن جميع الولايات وهو فوق جميع الدواوين والهيئات وهو السلطان فوق السلطان وكذلك يجب أن يكون.

لقد كنت أسمع قصصاً شديدة الغرابة تخرج من سجون الأمن فأستنكرها وأقول لعلها شهادة من خصم أو ظنين يبالغ في التوصيف، ولكن لما وقفت على واقعهم حين كنت

معتقلا في سجنهم رأيت العجب العجاب، ورأيت عِيانا الذي ذكرته من التغيير والتبديل في أصل الوضع، فعندهم لا تعرف متى يقال لك: "هل أنت متوضئ؟" ويؤتى لك بورقة فارغة لكتابة الوصية التي لا تصل غالبا إلى الموصى إليه، لا ترى الوجوه ولا تعرف من يحقق معك ولا متى تسقط العصى التي يسمونها "الأخضر الإبراهيمي" على أم رأسك ... تنزل عليك الضربة الغادرة وأنت مُطمش والذي أمامك منقب وتتوالى الضربات تلو الضربات حتى تقول ما يريد المنقب أن يقول [١] ... ولقد كان التحقيق في القضايا المنهجية على مراحل: فابتداء في دعوى تكفير الدولة فتُعلق كالشاة على رؤوس الأصابع لأيام يتخلل ذلك فواصل من الضرب والسب والنكال حتى تقول عندي شبهة، ثم تُعلق حتى تطير تلك الشبهة ويثبت التكفير على لسانك بيقين، وفي المرحلة الثانية على دعوى الاحتطاب ثم على دعوى الخروج على الدولة!! وأنت وصبرك، وفي كل الأحوال على الأغلب الأعم أنك بعد العذاب الشديد سترتاح من ذلك كله، وقد تستقر تحت الأرض لا فوقها ... وفي هذه الفترة ـ أواخر ٢٠١٧ـ وبعد الانقلاب المشؤوم على ولاية عبد الناصر سُجن أكثر الأسماء التي يخاف منها الأمن الخروج على الدولة، فاجتمع في السجن أكثر الأمراء الذين يحملون العقيدة الذي يخاف منها الحُجَّاج، فكان فيه أبو حفص المصري، أبو سليمان الفرنسي، أبو فارس الليبي، أبو خالد سنجار، قسورة التونسي، أبو عائشة الدرعاوي، أبو إبراهيم التونسي، أبو محمد الأردني، أبو يحي المغربي،

[١] جاء في المصنّف لابن أبي شيبة:" كتاب الحدود: فِي الِامْتِحَانِ فِي الْحُدُودِ ــ بسنده ــ عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ قَالَ: "الْمِحْنَةُ فِي الصِّفَةِ أَنْ يُوعَدَ وَيُجْلَبَ عَلَيْهِ، وَإِنْ ضَرَبْته سَوْطًا وَاحِدًا فَلَيْسَ اعْتِرَافُهُ بِشَيْءٍ"، رواه ابن أبي شيبة برقم ٢٨٢٩٩ وعن عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَقُولُ: "مَنْ أَقَرَّ بَعْدَمَا ضُرِبَ سَوْطًا وَاحِدًا فَهُوَ كَذَّاب" رواه ابن أبي شيبة برقم ٢٨٣٠٠

أبو مالك الأردني، أبو الفداء التونسي، أبو سمير الأردني، أبو نعيم التونسي، أبو خلافة القرشي، المعتصم التونسي، أبو أنس الكوك وغيرهم كثير وأكثرهم قُتل صبراً بعد العذاب الشديد فقد كنا ننام على أصوات أنينهم أثناء تعليقهم لأيام متوالية جزاء لمن ناصروهم سنين:

شبابٌ صغارٌ تُقادُ إلى *** سيوفِ انتقامٍ دِما تُستباح
فمن حاد عن طائرات الصليب *** فديوانُ أمنٍ لهُم في اجتياح
جزاءً لمن نَاصروهم سِنين *** جِساماً ضِعافاً تَئنُ جِراح
فَهُم مَن أقَامَ لهم شَوكة *** بِسدِ الثُغورِ إليهم يُصاح
فَرحلتُهم هكذا تَنتهي *** بِغدرٍ لئيمٍ وطَعنِ الجِراح
فَما ضرهم أي سَيفٍ يَكون *** به قتلُهم للعيونِ نُواح
على فِتيةٍ قد أرادُوا الحياة *** إلى اللهِ منهُ العطايا الملاح

أن تهاجر إلى دولة تُؤمِلُ أن تكون لك ملاذاً من الخوف وأماناً لك من طواغيت الأرض ... أن تكون موطنا لإظهار الدين بعد الاستخفاء والفرار به من الطواغيت ... أن تنفر إلى الثغور وأرض الوغى تبتغي العزة والتمكين وتبذل في إقامة صرحها الغالي والنفيس وتُلقي بأعز ما تملكه في هذه الدنيا ... أن تُلقي بهذه النفس في مواطن الهلكة فيمتلئ الجسد من شظايا الحديد حتى تتعطل بعض الأعضاء عن العمل السديد ... ثم بعد كل هذا البذل والعطاء تُجرجر إلى سجونها تُعامل كما يعامل العبد الذليل الحقير

وتُضرب فيها ضرب البهيم والبعير وتعلق كالشاة الليالي الطوال تذوق النكال الكثير وتسجن في منفردة لا تطؤها الكلاب والحمير ... فقط لأنك تكفر المشركين وتحقق البراءة من الكافرين ... فحسبنا الله فيهم ونعم الوكيل.

ومن الأحكام الوضعية التي شرعها طواغيت الدولة في هذا الباب هو القتل مصلحة وسياسة وهو باب واسع يخرجون عليه كل قتل خارج حدود ما أنزل الله، وقد كتب بعضهم كتاب جامع في هذا الباب بعنوان "اتحاف الساسة بأحكام القتل سياسة" [١]، ولكن لا حياة لمن تنادي ... ومن فروع هذا القتل: قتل الخائن الذي أخذ مال الدولة كالإداريين ونحوهم ممن يُستأمن على المال فيأخذه، وقنَّنه البغدادي ب١٠٠٠٠ دولا ر يُقتل بها، وهذا القانون فيه تبديل لحكم الله الوارد عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَيْسَ عَلَى خَائِنٍ، وَلَا مُنْتَهِبٍ، وَلَا مُخْتَلِسٍ قَطْعٌ"[٢]، ونفي الأخص يستلزم نفي الأعم أي نفي القطع يستلزم نفي القتل ... ومنها قتل من ولى الدبر[٣] كما في رسالة العدناني إلى العسكريين في منبج، وقتل من تكرر منه الهرب من الدولة من الجنود كما قنَّنته اللجنة وعممه

[١] تأليف أبو مرام الجزائري

[٢] رواه الترمذي برقم ١٤٤٨ وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَالعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ.

[٣] وهذا حكم بغير ما أنزل الله حيث أن النبي ﷺ لم يقتل الصحابة ممن فر من غزوة أحد فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[آل عمران: ١٥٥] وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى حِينَ انْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ يَوْمَ أُحُدٍ. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ﴾ يَعْنِي: "الَّذِينَ انْصَرَفُوا عَنِ الْقِتَالِ مُنْهَزِمِينَ". وَرُوِيَ عَنِ السُّدِّيِّ بَعْضُ ذَلِكَ"، رواه ابن أبي حاتم برقم ٤٣٨٠، وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَوْلَهُ: ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ﴾"حِينَ لَمْ يُعَاقِبْهُمْ، فَيَسْتَأْصِلُهُمْ جَمِيعاً". رواه ابن أبي حاتم برقم ٤٣٨٨

ديوان القضاء على القضاة وغيرها من الأحكام ... ونحن لا نتكلم عن قتل الموحدين لتوحيدهم فهو استدلال في محل النزاع بل ذكرنا شواهد خارج محل النزاع.

محكمة الجند

استلمها أبو البراء المدني ولكنه لم يُطل البقاء فيها لصدامه القوي مع أمراء الكتائب والألوية الذين عارضوا دخول القضاء في مسائل الدماء التي تُهدر على الجبهات، وكان أبو البراء كتب كُتباً في تحديد أعمال وصلاحيات محكمة الجند وأرسلها إلى الحَجَّاج فلما قرأها قال: هذا يريد أن يفصل القضاء على الدولة؟ ففصله عن القضاء وأرسله إلى العراق مع الوصاية بعدم الرجوع ولكنه لم يذهب فكان مدة بقائه محل سخط، حتى سُجِنَ في قضية فتوى الانسحاب من منبج، ثم سُلمت المحكمة إلى أبو عبيدة المصري الذي كان على أرشيف في محكمة الباب!! وصارت المحكمة من محكمة الجند إلى محكمة "المتسيبين" ــ الهاربين من الرباط والقتال ــ وصار هو اختصاصها فأمراء الكتائب يرسلون المتخلفين عن الرباط ليتم تعزيرهم بمقتضى اللائحة التي قنَّنتها اللجنة والتي من بنودها أن من يتأخر عن الرباط لعشرة أيام يُحرم من الكفالة... والصدام في الدولة بين الشرعي والعسكري غالبا ما يُحسم لصالح العسكري فالقول قول العسكر، بل وَقع في الدولة أن أمير فرقة سَجن قاضي الفرقة ثلاثة أيام تعزيرا!!

لقد كان سلطان القضاء في الدولة في غاية الضعف وإذا حصل صدام بين الوالي والقاضي ينتهي هذا النزاع بعزل القاضي إلى أن يوافق على شخصية يصدق عليها قاضي الوالي، لذلك بعد أمد سُلِّم القضاء لشخصيات ضعيفة جدا تتناسب مع ضعف الديوان

كأبي العباس الجزراوي وأبو عمر المصري وأبو المنذر الحربي بل حتى أبو مسلم المصري بعد كسر قرنه وترويضه صار مناسبا جداً للولاية، عن إِسْحَاقَ بْنَ رَاهَوَيْهِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ مُعَاذَ بْنَ خَالِدِ بْنِ شَقِيقٍ، يَقُولُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ: "أَيُّهُمْ أَسْرَعُ خُرُوجًا الدَّجَّالُ أَوْ الدَّابَّةُ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: "اسْتِقْضَاءُ فُلَانٍ الْجَهْمِيِّ عَلَى بُخَارَى أَشَدُّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ خُرُوجِ الدَّابَّةِ أَوْ الدَّجَّالِ"[١].

ومن جوانب ضعف القضاء ضعف سلطانه في تنفيذ أحكامه، فالوالي له شرطة خاصة وشرطة عسكرية واللجنة لها ديوان الأمن وهو دولة داخل دولة، أما القاضي له شرطة قضائية وهي أفراد معدودة لا تتعدى أصابع اليد الواحدة وآليات خربانة ومحروقات محدودة لا تستطيع أن تُلزم العازفين عن التحاكم بالمثول إليه وليس لها طاقة بتنفيذ الكثير من الأحكام القضائية، ويبقى القضاء في الكثير من القضايا حبراً على ورق، على خلاف ديوان الأمن الذي تمتد يده القذرة إلى من تريد سواء من الجنود أو الأمراء أو الرعية، فديوان القضاء لا سلطان له على ديوان الأمن، بل لا يستطيع أمير ديوان القضاء أن يتدخل في قضية فيها ظلم بيِّن ملفها عند ديوان الأمن، كمِثل قضية أم فؤاد البلجيكية التي اتُهمت بالجوسسة فسجنت في المنفردة لمدة خمسة وأربعين يوما قائمةً أم آدم المغربية على تعذيبها، وبعد أن لم يثبت عليها شيء قيل لها: "الله معك"، فلما رُفعت المظلمة إلى أبي مسلم المصري أمير ديوان القضاء قال: "الملف عند العدناني ولا أستطيع فعل أي شيء بل العدناني هو من كان يحقق معها!! ... تقول الأخت في المظلمة:

---

[١] السنة لعبد الله برقم ٣٥٢

لقد كنت أظن أني مسجونة عند النظام وكنت أحيض في ملابسي وأصلي فيها [١] وغير ذلك البلايا والله المستعان.

ومن جوانب الضعف أن القضاء لا سلطان له شكلي إلا على العوام، أما الأمن فسلطانه على الجميع فهو مخول بسجن الولاة والقضاة والشرعيين والعسكريين، بل سَجَن اللجنة كلها إثر الانقلاب المشؤوم ... وحين تكون القوة بيد الأمني وتُنزع من يد القضاء تجد أن هذا الأخير لا يستطيع أن يقيم أمر الله على الأمنيين وفي المقابل أمرهم نافذ عليه، ولابد أن نعلم أن ديوان الأمن هو تحت تصرف اللجنة المباشر بل هو اليد الطولى لها، وأمراء ديوان الأمن كانوا أعضاء فاعلين في اللجنة كأبي لقمان وعبد الحكيم، إلا في فترة تولي العدناني الذي كان هو الأمير الفعلي لديوان الأمن بل كان يباشر التحقيق في بعض القضايا، لذلك كل الأعمال المنسوبة إلى هذا الديوان إنما هي في حقيقة أمرها منسوبة إلى اللجنة العامة بشكل مباشر لأنها هي صاحبة الأمر والنهي فيه.

وهذه بعض جوانب الضعف والإقصاء لديوان المفترض أن يكون فوق الجميع وله السلطان على السلطان في إقامة العدل والحكم بما أنزل الله، ولكن هذا موجود في السِّير عن القاضي شريح وعبد الله بن شبرمة وغيرهم أما في خرافة بغداد فالسلطان بيد الحُجَّاج الذين لهم الوصاية على الجهاد.

---

[١] والمنفردة ٠.٩٠/١.٨٠ متر.

المطلب الثاني: ديوان البحوث والإفتاء

استلمه تركي البنعلي ــ أبو همام الأثري ــ ولم يمكث فيه إلا قليلا حتى نقل إلى العراق ونائبه أبو محمد الأزدي، واستقر الديوان بعد تجميعه لعدة أسماء إلى تقسيمه إلى لجنتين:

لجنة إفتاء وفيها: أبو مالك التميمي وأبو مرام الجزائري وأبو عبد البر الكويتي.

لجنة بحوث وفيها: أبو المنذر الحربي وأبو إبراهيم الجزراوي وأبو حفص الحلبي وأبو محمد المصري وأبو يعقوب المقدسي، وكان أبو جندل الحائلي على العلاقات العامة وأبو صهيب النجدي على الإعلام والأرشيف.

وكان العمل في بادئ الأمر على مراسلة الدواوين والهيئات لديوان الإفتاء عن طريق العلاقات العامة بالفتاوى والبحوث ثم يُكتب فيها وترسل إلى الجهة المُرسِلَة، ولكن هذا الواقع النموذجي لم يستمر طويلاً حيث أنه وقعت بعض القضايا وأُلفت بعض المؤلفات وحررت بعض الفتاوى صادمت اللجنة فأدى الصدام إلى تكبيل أيدي الديوان والحجر عليه ومنها:

فتوى عدم تقسيم أملاك المدنيين ــ الغنائم ــ في مدينة كوباني فكتب الديوان ــ تركي البنعلي ــ فتوى مفادها أنها أموال "المسلمين" تُوقف حتى يعود أهلها، فكانت هذه الفتوى محل سخط من اللجنة التي لم تعمل بها.

ومن المؤلفات التي أثارت جدل كبير هو "مقرر في التوحيد" الذي كتبه أبو إبراهيم الجزراوي وأشرف عليه أبو المنذر الحربي ولم يُنظر فيه من طرف لجنة الإفتاء على الجادة

المطروقة، بل استعجل الأزدي في إخراجه مستسلماً لضغوط هيئة الهجرة التي كانت بيدها المعسكرات في الشام ... واستنكرت اللجنة خروجه بدون إذنها خصوصا لما رُفع إليها من إشكالات كبيرة في مسائل لا تريد الدولة الفصل فيها، والسياسة فيها هي الضبابية المقصودة، وإن كانت المسائل المقررة في مقرر التوحيد هي على دين القاعدة الأم.

ومنها كتاب "تبصير الأصحاب بضوابط الاحتساب" الذي كتبه أبو مرام حيث أن الكتاب أعطى الحسبة صلاحيات أربكت اللجنة في صدامها مع ديوان الحسبة ومركز الرقة فألغي الكتاب.

ومنها فتوى حكم حامل بطاقة خدمة العلم التي أفتى فيها الأزدي بكفر حاملها وعلل ذلك أنها وعد بالنصرة، الفتوى التي أثارت سخط القحطاني واللجنة.

وبعد هذه القضايا وغيرها مُنع الديوان من النشر إلا عن طريق ديوان الإعلام، فلا ينشر شيء إلا عن طريق مكتبة الهمة، سُحب كتاب مقرر في التوحيد بعد تأليف كتاب التقريرات المفيدة في أهم مسائل العقيدة، وكان جهدا جماعيا وطرحا توافقيا بين اللجنة والديوان، بحيث وُضعت فيه عبارات مطاطة حمَّالة أوجه كخط رجعة في مسائل النزاع مع طرح وتأصيل فاسد للمسألة ... وفي سياق تقويض ديوان الإفتاء بعد منع النشر منعت الدواوين والهيئات والولاة من خطاب ديوان الإفتاء ومراسلته بالمسائل الشرعية إلا عن طريق اللجنة، التي هي بدورها تخاطب الإفتاء في مسائل معينة للكتابة فيها وإعادة إرسالها إلى اللجنة، وإما أن توافق عليها اللجنة وترسلها إلى الجهة المعنية

بالخطاب إن وافقت الفتوى السياسة العامة أو إلى الفرَّامة، وبالتالي أصبح الإفتاء في الدولة عبارة عن لجنة استشارية في مسائل معينة إن وافقت هوى السلطان أُخذ بها وإن خالفت طُرحت، وهذا بعينه مسمى عالم السلطان، ولكن الدولة حتى مسمى عالم السلطان لم ترض به وكل هذه الإجراءات لم تقف عندها، بل أرادت الإجهاز على الإفتاء بعد أن غيير اسمه إلى هيئة البحوث والإفتاء ثم إلى مكتب البحوث والدراسات وإلغاء مسمى الإفتاء منه قصداً ... ومن ثَم العمل على تفريغ الديوان من تجمُّع الشرعيين الذي كان يشكل مصدر قلق على الدولة بدايةً بأبي مالك التميمي إلى اللجنة الشرعية ثم أبو محمد الأزدي وأبو مرام الجزائري إلى ديوان التعليم بعد الصدام مع اللجنة في قضية الحسبة المشهورة، ثم أبو عبد البر الكويتي إلى القضاء ... وفي هذه الفترة رجع البنعلي من العراق ولم يجد في الديوان إلا أبو المنذر وأبو محمد المصري وأبو يعقوب المقدسي وأبو حفص الحلبي، ومع وجود هذه الأسماء ظهر الإرجاء والتجهم الصريح وكتب أبو المنذر "السؤالات البغدادية والسؤالات الخرسانية" التي أجاز فيها التحاكم للضرورة على دين القاعدة الذي نشأ عليه وقدم له في الكتاب تركي البنعلي، وعلى إثر هذه الرسائل ثارت ثائرة الفرقان الذي وجد المستَمسك على المكتب وأراد استتابة أعضائه؟ واعتذر البنعلي خوفاً أنه قدم الرسالة ولم يقرأ مضمونها!! ووقع الفأس على رأس الباكستاني أبو المنذر، بل قال لي أبو يعقوب أن الفرقان قال لهم: "نحن نرسل لكم السؤلات وأنتم تبحثون لنا عن الأدلة فنحن قد نسينا الأدلة!! "قال أبو يعقوب المقدسي: فذكرت له

الإجماع أن العالم إذا ترك الحق الذي يعلمه من كتاب الله وسنة رسول الله إلى قول الحاكم فقد كفر بإجماع العلماء[١].

وهذه هي النظرة التي كانت اللجنة تنظر بها إلى الإفتاء، كانت تريد منه جمع الأدلة على سياسة الدولة، وأدى هذا الصدام إلى نقل أبو يعقوب المقدسي وأبو المنذر الحربي إلى القضاء وأبو محمد المصري إلى ديوان الزكاة وبقي البنعلي وحيداً بين جدران مكتب الدراسات، وهذا الإجراء بمثابة غلق المكتب وتجميد البنعلي وتفريغه من أي سلطان، ولم يفرز إليه أحد للعمل معه في الاختصاص الشرعي لفترة طويلة رغم كثرة مراسلاته بأسماء تُنتدب إليه، وقد كانت اللجنة تراسل الإفتاء بشكل روتيني ثم تحجر على مراسلاته في الأرشيف، والإشكال الكبير أن اللجنة ــ أقصد الحاكم ــ ليس من أهل العلم فضلاً أن يكون من أهل الاجتهاد أو أهلاً للحكم على الأعمال وتقّيمها ونخلها، فتكون موافقة الجاهل ومخالفته ميزانها الأهواء والمصالح المتوهمة حتماً، وحتى القحطاني لما صار إلى اللجنة بعد وضعه اللبنات الأولى للدواوين باعتباره صاحب المشروع لم يستطع رفع لواء العلم ويجعل له سلطان بل كان واجهة خصومة اللجنة مع الشرعيين، أما أبو زيد العراقي الذي يحفظ من الأشعار أكثر مما يحفظ من الأحاديث

---

[١] قال ابن تيمية:"أَنَّ قَبُولَ قَوْلِ الْحَاكِمِ وَغَيْرِهِ بِلَا حُجَّةٍ مَعَ مُخَالَفَتِهِ لِلسُّنَّةِ مُخَالِفٌ لِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ وَإِنَّمَا هُوَ دِينُ النَّصَارَى الَّذِينَ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مَنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إلَّا لِيَعْبُدُوا إلَهًا وَاحِدًا لَا إلَهَ إلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {أَحَلُّوا لَهُمْ الْحَرَامَ وَحَرَّمُوا عَلَيْهِمْ الْحَلَالَ: فَأَطَاعُوهُمْ فَكَانَتْ تِلْكَ عِبَادَتَهُمْ إيَّاهُمْ} . وَالْمُسْلِمُونَ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ مَا تَنَازَعُوا فِيهِ يَجِبُ رَدُّهُ إلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ وَهَؤُلَاءِ لَمْ يَرُدُّوا مَا تَنَازَعَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ إلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ؛ بَلْ حَكَمُوا بِرَدِّهِ بِقَوْلِهِمْ وَهَذَا بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ. وَأَيْضًا فَحَكَمُوا بِقَوْلِ ثَالِثٍ خِلَافِ قَوْلَيْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ فَخَرَجُوا وَحُكْمُهُمْ عَنْ إجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ وَهَذَا بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ" مجموع الفتاوى ٣٠٦/٢٧

والقرآن فقد كان حذاء عبد الناصر ونعل السلطان، وقد كان في الفترة الأولى بعد التمكين الشخصية العراقية العلمية التي هي محل ثقة عند الحُجَّاج، وكان أبو زيد حينذاك يحمل لواء خصومة اللجنة مع الإفتاء.

إن موقف اللجنة من ديوان الإفتاء الذي ترتب عليه الحجر والإقصاء مع عدم وجود البديل ولا السعي من اللجنة في إيجاده، بل تُركت السفينة تسير عمداً بغير وجهة ومرجعية شرعية محل ثقة عند الجنود، حيث أن الدولة قتلت نخبة وكوكبة من طلبة العلم بتهمة "الغلو"، وعزلت وحجرت على الطائفة الأخرى "مدرسة القاعدة" خلال فترة تمكين الدولة في الأربع سنوات ... وفلسفة الجماعة أنها لا تريد أن تُصدِّر أي شخصية علمية بصفة رسمية على أنها تمثل قول الدولة الشرعي سواء أكان علَماً أو ديوانا أو هيئة، وكانت سياسة الدولة هدم الرموز وطمسها وعدم الإبقاء على أي اسم قد يكون له تأثير جانبي حين الخلاف معه خوفا من حدوث انشقاق في صفوفها، ولذلك دائماً تقص أجنحة الشرعيين إذا ظهرت، وذلك بالإقصاء والإبعاد والتهميش أو حتى القتل في بعض الصور كي لا يبقى لهم ذكر أو يعقد لهم لواء.

والحقيقة الصادمة أن الإفتاء لم يكن له أي سلطان في الدولة بل كان مكتبا شكليا وصورة مفرغة من المعنى الذي يوضع له أصالة.

المطلب الثالث: بين ديوان الدعوة وديوان الإعلام

استلم ديوان الدعوة والمساجد أبو الحسن الجزراوي وبقي فيه مدة التمكين وكان نائبه أبو معاذ المصري ثم أبو الوليد السيناوي، وكان في الديوان وأبو بكر المصري وأبو معاذ التونسي وغيرهم من الأسماء التي تداولت عليه، ولقد حمل هذا الديوان عبئاً ثقيلاً ولم يُعَن عليه، فأقرَّ المساجد ابتداءً على ما كانت عليه في الجاهلية البعثية حيث أن الخطباء والأئمة الموظفين عند وزارة الشؤون الدينية السورية هم من أكمل مسيرة الخطابة في دولة الخلافة، إلا في المساجد الكبيرة التي يرتادها الجنود فكان منهم الخطيب والإمام، ولم يكن في وسع الدولة أن تضع في كل مسجد دعوي من جنودها بل كانوا يُمَسَّكون مكاتب الدعوة في القواطع، فلا تجد في القواطع الكبيرة إلا النَّفر الواحد من الدعاة الذين لا يسدون عُشر حاجة المشركين في دعوتهم وتعليمهم، ولكنَّ الديوان لم يُقر المساجد على وضعها بل أقام دورة علمية في مسجد عبد الله بن مسعود في الرقة لتخريج الأئمة والخطباء وألزم جميع خطباء المساجد بالحضور فيها وعلى النجاح فيها يتم التوظيف من عدمه، وكان قيِّماً على هذه الدورة أبو عبد الله السيناوي وكان فيها كوكبة من مشايخ الدولة فالبنعلي في شرح البيقونية والقحطاني الطحاوية والتميمي التفسير وأبو مرام الفقه وأصوله وأبو المنذر السيرة وأبو عبد الله السيناوي اللغة ... ولكن هل تظن أن مثل هذه الدورات كافية في تأهيل هؤلاء الخطباء؟

ومع الاحتكاك بالرعية من خلال الدورات الدعوية التي كانت تُقام غالبا لمن تُرسلهم الحسبة إلى ديوان الدعوة تعزيراً، لمس الديوان جهل الناس بالتوحيد ومعنى لا إله إلا

الله واتساع دائرة هذا الجهل الفظيع وهي الحقيقة التي أثبتها واقع الناس من خلال القُرب منهم بغرض التعليم لا بغرض الامتحان، الرعية الجاهلة التي كان يؤصل فيها الإسلام، فكتب أبو الحسن الجزراوي كتاب "تعلموا أمر دينكم" وطُبع من طرف الديوان ـــ والكتاب فيه طوام عقدية كثيرة ـــ وفي ضمن هذا السياق ثم إعلان مشروع غزو القرى لنشر الهدى، وفكرة هذا المشروع أن يذهب الدعوي إلى القرية فيُقيم فيها أياما ويجتمع إليه أهل القرية على مُدارسة هذا الكتاب وغيره، ومن خلال هذه الدورات التي أقيمت في القرى أيقن الدعاة بحال الناس أنهم جهال بمعنى لا إله إلا الله جهلاً فظيعاً، ومن خلال هذا الواقع المخالف لتصور الدولة، أصدرت اللجنة مرسوم بإلزام جميع الرعية رجالاً ونساءً بالدورة الشرعية، وصارت بطاقة الدورة الشرعية لازمة في جميع تعاملات الدولة الإدارية للحسبة والزكاة وغيرها ... وهذا الأمر بالإلزام الجماعي ولَّدهُ اليقين في أن الناس تجهل التوحيد، ولكنَّ الجهل بمعنى لا إله إلا الله ليس مناط مُكفِّر في الدولة على دين القاعدة، لذلك كانت الدورات بعنوان تعليم المسلمين أمر الدين وليس استتابة المشركين ودعوتهم إلى دين المسلمين.

واستغرق عمل الديوان في إقامة الدورات وتوسيعها وغزو القرى وتدريسها وتسيير القوافل الدعوية ونشاطاتها، وضاعت المعسكرات الشرعية لانتساب الجنود بين ديوان الدعوة وديوان التعليم ولم يكن في كليهما طاقة بها لعدم وجود الكوادر والمدرسين، فأُنشئت بعد فترة إدارة المعسكرات التي استلمها أبو حمزة الكردي، ولم يكن في الدولة نشاط دعوي غير الذي ذكرنا، أما المعاهد العلمية ومجالس العلم فلا تكاد تراها اللّٰهُمَّ

إلا مجالس الوعظ التي كان يقوم بها كمال زروق وغيره ولم يعقد في الدولة إلا معاهد معدودة، كمعهد إعداد الدعاة والخطباء السابق ذكره والمعهد المركزي ومعهد محمد بن عبد الوهاب ومعهد أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه ومعهد عمر بن عبد العزيز وسيأتي الحديث عنه، ولم يكن للديوان نشاط علمي تأصيلي للعلوم الشرعية بل الجهود المبذولة كانت في رفع الجهل على الرعيَّة، أما في جانب التأليف الدعوي فقد كان خالي الوِفاض إلا المطويات التي كانت تكتبها مكتبة الهمَّة، ولم تكن لديوان الدعوة مادة دعوية مكتوبة ولا طاقة له على الكتابة والتأليف ولا على الطباعة والنَّشر، فقد كان أفقر ديوان في الدولة على الإطلاق وبدون مبالغة، وقد وقفت على هذا الواقع فأذهلني ما رأيته من إهمال الدولة لهذا الديوان سواء في المُخصَّصات أو الآليات أو ضخ الدعاة، فتصور أنَّ ولاية الفرات كلها ليس في مركز الدعوة إلا ثلاثة من الدعاة على مستوى الولاية، بل طباعة المقررات في بعض المعاهد كانت تصرف من كفالات الجنود في مطابع خاصة لعدم تحمل ميزانية الديوان لها، بينما تَطبع مكتبة الهمة الآلاف من النسخ من جريدة النبأ التي تُحرر فيها أخبار أكثرها كاذبة ثم يُرمى بها في الحش والزبالة.

أما ديوان الإعلام فقد كان دولة داخل دولة فهو بين **مقروء**: وهو ما تطبعه مكتبة الهمة من الكتب والمطويات وجريدة النبأ والمجلات باللغات الأجنبية، **والمسموع**: وهو إذاعة البيان، **والمرئي**: وهو أوسع هذه الأقسام وفيه مؤسسة الفرقان والاعتصام والحياة وإعلام الولايات، وخلف كل هذه الأقسام كتائب من الإعلاميين وتنفق عليه ميزانية مفتوحة،

وأميره أبو محمد الفرقان صاحب ثِقل في الدولة وهو عضوٌ في مجلس الشورى، أما ديوان الدعوة بمراكزه كلها لا تقوم مقام مكتب إعلامي في ولاية من ولايات الدولة.

هل كان هذا التمايز صدفة أو كان غير مقصوداً؟ لا والله بل هذا واقع الدولة، فالجهود والأموال المبذولة لديوان الإعلام لا يمكن مقارنتها بديوان الدعوة البتة ولا تبلغ عشر معشارها، وحُق لهذا الواقع له أن يُكتب بالخط العريض: **إن غاية الدولة هي الدعوة إلى القتال و تثبيت الملك والدفع عنه وليست الدعوة إلى دين الله وتصحيح عقائد الناس**، فقاعدة التجميع في الدولة كانت على القتال ويصوِّر هذا جيداً الإعلام الهوليودي، وليس التجميع للدعوة الربانية التي هي الحكمة من إرسال الرسل ... لذلك كانت القاعدة الأمـ في هذا الباب أفضل بكثير من حيث العناية والجهود المبذولة في الدعوة إلى دينها ويكفيك نظرة في منبر التوحيد والجهاد وما فيه من تأليف وتهريف، وفي المقابل فما هو منبر الدولة الدعوي وميراثها الذي تركته، هل هو إصدارات لفتوحات ودماء أُريقت على تلك الديار وسرعان ما عادت إلى حضن الوطن، وصار الجاهليين أشد سُخطاً على الدولة ونقمة عليها ولسان مقالهم لقد دمرتم لنا البلد وذهبتم إلى الجحيم..

لقد كان الإعلام كاتماً على أنفاس الدعاة وطلبة العلم فلم يكن يُسمح لهم أن ينشروا شيئا باسمهم، سواء كان مكتوباً أو مرئياً أو مسموعاً، بل ممنوعِ أن يكون لهم تواجد في منابر التواصل الاجتماعي، وشعارهم طمس الرموز ولا تقول إلا ما نريد نحن أن تقول فأنت محجور عليك في مملكة البغدادي، ليس هنا إلا البغدادي والعدناني فلا

نجم يعلو على الشمس والقمر ولا صوت فوق صوتيهما يترنم ... فدولة تمنع طلبة العلم من نشر علمهم وتحجر على دعاتها إلا وفق إذاعة تنشر ما وافق سياستها، هي دولة مفلسة ذات هوس أمني من انقلاب الرموز عليها، حيث أنها استعملت جميع الإجراءات لإطفاء أي شعلة عَلَم، ولا ترفع إلا الأموات الذين ماتوا تحت رايتها فهؤلاء هم المخلّد ذكرهم إذ لا خوف على الكيان منهم ... هذه هي ثقافة دولة نشئت وهي تخاف من الزوال وتظن أن بقائها هو في هدم الرموز وتحجيمها، وكم من دولة قامت وزالت وذهب أثرها من الوجود ولم يبقى من ذكرها إلا ما دونه علماؤها ودعاتها وهو تاريخها الذي بقي مسطوراً منشوراً، وهذه الدولة النجدية قد ذهبت وبقيت مدونات علمائها وفتاوى أعيانها بين الرفوف إلى يومنا هذا.

ولا نحتاج أن نقول إنَّ ديوان الدعوة كان فاشلا لأنه كان يُغرد خارج السرب، فهو ديوان لترسيخ دين المشركين وتصحيحه والإقرار عليه فكان معول هدم لا بناء في دولة بدلت الأسماء وحرفت أصل دين الأنبياء والمرسلين.

المطلب الرابع: ديوان التعليم

استلمه عثمان آل نازح ونائبه ذو القرنين ولكن آل نازح رفض الإمارة وجلس للتدريس في معهده بالسِحل ولم يعمَّر بعد التمكين طويلاً، فقد كان له شغف بالجبهات وليس بالمكاتب والدواوين، وقُتل في أحد خرجاته إلى كوباني بقصف التحالف، واستلم بعده نائبه ذو القرنيين المصري وصار بعد فترة أبو عبد الله الأردني نائباً له.

أقر ديوان التعليم المنظومة التربوية النصيرية وتم افتتاح المدارس في أواخر ٢٠١٤ على نفس الوضع السابق بنفس المنهاج الوضعي إلا بعض المواد التي ألغيت كمادة القومية والفلسفة والتربية الوطنية وغيرها، وبقي النظام يدفع المرتبات بنفس الميزانية للمعلمين بشكل دوري في دولة تسمى "بالإسلامية" ... ولم يلبث هذا الواقع المرير طويلاً حتى استنكره بعض العاملين في ديوان التعليم ورفع أبو عبد الله الأردني الأمر إلى اللجنة وجرى النقاش في مشروعية سير المنظومة التعليمية على وضعها، وكتب الإفتاء رسالة في حكم المنظومة التربوية النصيرية [١]، وأفتى بكفر المعلمين واستتابتهم وإيقاف المدارس إلى حين إعادة تأهيل المعلمين وكتابة المناهج ... والعجيب في الدولة أن هذه الأحكام والإجراءات هي في ولاية الشام فقط أما في العراق فلم يجرؤ أحد على تكفير المعلمين أو إيقاف المدارس أو الجامعات!!، فالتكفير وتوقيف التعليم مُسلَّطٌ على المعلمين السوريين الذين لا بواكي لهم، أما المعلمين في العراق من ـــ الولد ـــ فاستمرُّوا

[١] بعنوان: "رسالة توضيحية في بيان حكم المنظومة التعليمية في الحكومة السورية".

في التدريس وقبض المرتبات من الصفويين بمقدار ٧٠٠ دولار في الشهر بينما أحيل المعلمين السوريين على البطالة !! في دولة الخلافة.

وبدأ الديوان يعمل على إنشاء منظومة تعليمية للدولة بكتابة مناهج جديدة وإقامة معاهد لتهيئة المعلمين المستتابين لاستعمالهم في هذه المنظومة، وبقي الديوان يدور في حلقة مفرغة لعدم وجود كوادر علمية تقوم بهذا المشروع الكبير، وعلقت الدراسة لموسم دراسي، وكان ذو القرنين في هذه الفترة يعمل في العراق على كتابة منهاج العلوم الدنيوية فجمَّع حوله طائفة كبيرة من أهل الاختصاص في جامعة الموصل على مختلف المشارب والتوجهات، وانتُدب البحوث والإفتاء لكتابة المقررات الشرعية للمناهج الدراسية [١]، وكان من أعمال الديوان افتتاح المعهد المركزي الذي أنشأه القرني في العراق ووضع له اللبنة الأولى وكانت مدته ستة أشهر، ومن مقرراته كتاب فقه النوازل **الذي كتبه حجي عبد الله** ـــ أمير الدولة الذي استلم بعد هلاك البغدادي ـــ والذي يعذر فيه المنتخبين بالجهل وغيرها من الطوام، وبعد تخرُّج دفعة من المعهد في الموصل افتُتح له فرع في الشام، ولكن المعهد لم يُكمل مُدته في الرقة حيث استُنفر الطلبة إلى المبروكة والعالية في تقدم البككي على الرقة فقُتل أكثر الطلبة وجرح الباقي فأغلق المعهد.

[١] وكانت المقررات المكتوبة فيها أخطاء كثيرة مع نفس جهمي حتى قال أبو سعد الدغيلمي لا ندرس أولادنا في هذه المدارس

وقبل افتتاح المدارس بأشهر قليلة عُزل ذو القرنين وتولية أبو المنذر عمر مهدي زيدان على ديوان التعليم ونائبه القرني وكانت التولية من العراق من طرف أبي المعتز القرشي، وكان هذا التعيين رجوعا بالديوان مسافات إلى الوراء فالرجل لا يفقه في العمل الإداري شيئا استلم الديوان في زمن حسَّاس، ولم يكن متصوراً للمشروع بالكلية بالإضافة إلى أنه شخصية انتقادية هدًّامة فكان من أسباب فشل المشروع برمته، وسرعان ما عُزل منه واستلم المكتب الشرعي للجيش في العراق.

وفي آخر المطاف امتنعت اللجنة من صرف ميزانية التعليم سواء في صرف مرتبات المعلمين أو طبع المقررات، وشحت بالمال لصالح الجبهات، انطلق الموسم الدراسي على عرج بفرض إتاوة على التلاميذ يُعطى منها الرواتب للمعلمين، وكانت هذه الخطوة بمثابة وأد لهذا المشروع ودفنه، حيث عزف أكثر العوام عن تدريس أولادهم فبدأ العام الدراسي بفتح مدارس محدودة جداً وسرعان ما انكمشت المدارس واندثرت بعد قرار اللجنة بعدم التدريس في مدارس النظام خوفا من القصف، فصارت إلى البيوت التي لم يبقى فيها إلا أبناء جنود الدولة.

وهكذا فشل مشروع تربوي في دولة تدفع ملايين الدولارات في التجهيز والسلاح ولا تدفع مرتبات المعلمين وطباعة المقررات.

المطلب الخامس: ديوان الحسبة

استلمه أبو بكر القحطاني فوضع له لائحة عمل وقنن التعازير على شكل مواد وضعية، ثم بعد فترة قصيرة استلمه من بعده أبو صالح العربي وكان نائبه أبو رامي الجزراوي ومن بعدهم أبو علي السوداني ... اصطدم الديوان بمجتمع جاهلي غارق في الشرك والكفر فضلاً عن الشهوات والموبقات، فالفساد في كل جوانبه ونواديه، ولن تصلحه دِرة الحسبة على خواء التوحيد، وكانت الرقة في أول التمكين على حالها حيثُ أن النساء لم يؤمرن بالحجاب والنقاب على القول بالتدريج في تنزيل الأحكام على رؤية أبي زيد العراقي، ولكن اجتهاد أحد المحتسبين الجزراويين نقض التدريج وألزم النساء بالنقاب وأرغم أنف البغدادي وأبو زيد.

لقد كانت الخصومة شديدة والصدام قوي بين المجتمع الجاهلي وجهاز الحسبة الذي حال بين شهواتهم وعاداتهم وما ألفوه منذ نعومة أظفارهم، وبعد الشكاوى الكثيرة من الرعية على المحتسبين عزمت اللجنة على نصرة الحاضنة الشعبية وتقليم أظافر الحسبة، وأول تقليم وقع في الرقة التي كان فيها مجموعة من الجزراوية شديدةٌ دِرتهم على الرعية على رأسهم أبو شيماء الجزراوي ناظر الحسبة، وانتهى الصدام بتعزيرهم كلهم إلى العراق وتغيير الطقم الجزراوي إلى الطقم السوري " الأنصار" فهم أطوع للإمام وأخضع له، كما انتهى الأمر في الطبقة إلى غلق مكتب الحسبة واستنفارهم إلى كوباني فقصفهم طيران التحالف على تلة مكشوفة، وفي دير الزور تم تجميد الحسبة وتعزير أميرها أبو محمد الجزراوي إلى كوباني، في حملة واسعة من اللجنة المنتصرة لصرخات الرعية المنكوبة.

وثارت ثائرة الديوان الذي لم يُستأمر في خلع جميع أمراء مراكزه فاصطدم أبو رامي مع الجميع واستنصر بالإفتاء فكتب أبو محمد الأزدي كتابا شديد اللهجة للجنة يقول فيه أن ولاتكم يراعون الحاضنة الشعبية على طريقة السرورية!! وأرفقه بتقرير من أبي مرام في نفس السياق بعد الدورة التي أقامها في دير الزور للمحتسبين في شرح كتابه "تبصير الأصحاب بضوابط الاحتساب"، حيث أن الولاية قد وقع فيها صدامات أدت إلى الفزع إلى السلاح، وكان جواب اللجنة بعزل الأزدي والجزائري من الإفتاء، وتعزير أبو رامي إلى العراق وأتبعوه بالأزدي، ولكن القرني أخذه وأبو شيماء واستعملهم في معاهده وقال إن الشام تلفظ فلذات أكبادها إلى العراق.

وبعد هذه الحملة كُسرت شوكة الحسبة وصارت اختصاص عيون المنقبات وشيشة المدخنات وعليهما يجري الاحتساب ولا تكاد ترى سيارات الحسبة إلا في الأسواق، فالطقم المعد لها لا يكفي لتغطية شوارع مدينة الرقة فضلاً عما حولها من الأحياء، أما القرى فعلى حالها منذ أن تركها النظام فلا ترى فيها آمرا بالمعروف أو ناهيا عن المنكر بل لا تكاد ترى فيها مظاهر الدولة عموما.

لقد كانت الحسبة مغلوبة على أمرها فهي كالقشة التي يريد بها آمرها أن توقف سيلاً عارماً وزبداً جارفا من الانحراف والفساد، مع تسلط الولاة عليها فيتم عزل كل أمير لها تكثر عليها شكاوى الرعية والعوام.

إن تقويم الانحراف يكون بتصحيح الأصل الذي يُقوِّم السلوك والأخلاق ويتم به الانقياد لله في الأمر والنهي وتجريد الاتباع، والمجتمع الذي يُبنى على هذا الأصل يُرغِّبهُ الوعد من الله تعالى ويُخوِّفهُ الوعيد من الله لا دِرة الحسبة من الخلق.

الفصل الرابع

وقفات مع المرحلة الأولى

المطلب الأول: وقفات مع أهم الأحداث في هذه المرحلة

بعد إعلان الخلافة في ١ رمضان ١٤٣٦ ودعوة الناس إلى الهجرة إليها واستنفارهم لبناء صرحها والقتال على أسوارها، أقبل عليها الوافدون المتعاطفون مع هذا المشروع من كل حدب وصوب، فكانت نسبة المهاجرين من ٣٠ إلى ٥٠ من الرجال يومياً في أول فترة ثم وصل العدد إلى ١٠٠ نافر من كل الجنسيات، وكان المتخرجون من المعسكر في أول الأمر يُقسَّمون بين العراق والشام ثم صار فرز المهاجرين إلى العراق حصراً ... فكان تدفق رهيب للمهاجرين الذين أجابوا نداء "هلموا إلى دولتكم"، ومن ضمنهم الكثير من الكوادر الذين أكلتهم الجبهات ولم يُستفد منهم في اختصاصهم، مع أن الدولة لا تستطيع أن تقوم في المساحة التي هي عليها في كل المجالات إلا على جيش من أصحاب الاختصاصات، ومع ذلك تسير الدولة بعقلية جماعة قتالية تشترط التزكية على الجبهات، فكان الواقع يُحتِّم عليها أن تضع أرجلها على أرضية ثابتة تنطلق منها إلى أهدافها، فقاعدة إقامة الدولة لا تقوم على حاكمية جماعة قتالية لمجتمع جاهلي، بل تقوم على جميع أفراد المجتمع الرابط بينهم آصرة العقيدة التي تدفع بهذا المجتمع إلى الذود عن حياضها، فإذا استُنفر نَفَر يدفع عن كيانها ووجودها، أما واقع الشام فكان ــ الكل على راسي ــ النظام والجيش الحر والأكراد وتركيا وأمريكا كلهم على رأس المجتمع

الجاهلي، وحالهم كما يقال في مَثَلِهم من تزوج أمي فهو عمي، فكيف يُدعى المهاجرون ليدفعوا عن حياض المجتمع الجاهلي!.

وقبل أن تمتد العين إلى بغداد أو الشام أو الروم أو الفرس أو جزيرة العرب أو الأرض كلها، كان لا بد من تصحيح الواقع وإقامة الدولة على أصول ثابتة لا رمال متحركة، بدون أن تحتاج إلى كل تلك القرى والديار التي هي عبء ثقيل عليها، وكانت تستطيع تصحيح الواقع لو عملت على تصحيحه وإقامة الدولة على أرضية صحيحة بعد المفاصلة في أسماء الدين لِما منَّ الله عليها من الأسباب المادية ـــ المال والرجال والسلاح ـــ ولكن الخلل هو الزيغ في المنهج الحركي الذي ولَّده الفساد العقدي، فأدى هذا الانحراف إلى توظيف تلك الأسباب في غير محلها، والخطأ الجسيم في تسيير تلك الجيوش إلى معارك الفناء، فما هو الداعي لخوض معركة مع الأكراد وبالتالي أمريكا والتحالف الدولي في هذا الوقت المبكر، وإن كان ولا بد من المواجهة لماذا لم تتوجه تلك القوة إلى سوريا المفيدة ـــ حمص وحماه وغيرها ـــ والنظام في هذه الفترة يتهاوى؟ من وجَّه المهاجرين إلى كوباني تتخطَّفُهم طائرات الصليب ومسيرات التحالف؟ من أهلك أكثر من ١٠ ألاف مقاتل أكثرهم من المهاجرين في حرب لا طاقة لهم بها ولا قبيل، يتوجهون إلى دارٍ لا حاجة لهم بها كأنها المسجد الأقصى أو الحرم المغصوب؟ ... لماذا تثبت الدولة لمدة أربعة أشهر في كوباني والطيران لا يقصف خطوط الإمداد بل يقصف خطوط الرباط فيُقتِّل في اليوم عشرات المقاتلين، وليس بين قاعدة أنجرلك وسماء كوباني إلا نصف ساعة كافية لشحن الطيران بصواريخ الموت ووقود الرعب، وأحمق

العسكريين يعلم أنها حرب استنزاف للدولة، وهل يُقْدِم عاقل على حرب كلاسيكية بجيوش مكشوفة في أرض مبسوطة على حدود تركيا مع تحالف دولي يصمد فيها أربعة أشهر تُقتَّل فيها خيرة رجاله وجنوده من أجل كلمة يقولها حجاج الشام "لن تسقط كوباني!!" ثم يقول بعد سقوطها هنيئا لكم بأكوام الحجارة في كوباني ... لقد استنزفنا أكثر من ٧٠٪ من قدرات الطيران!! والذي حصل في كوباني تكرر في بيجي العصية فقد أكلت حقول النفط والغاز ألاف المقاتلين من المهاجرين والأنصار، يضحك على من هذا الأحمق الأخرق؟ وتالله لقد كان المرابط في كوباني يُرابط على الطيران ينتظر الموت بعد الموت، ولما انهارت الجبهة وصل الأكراد إلى أطراف الرقة ولو دخلوها لأخذوها ولكن ليس بعد ... هل هذه القيادة أمينة على الدماء والأعراض والحياض؟ أم هي أولى بالشك والريبة من المهاجر الذي نفر بفلذات كبده هجرة ونصرة يُنظر إليه بنظرة الجاسوس الخائن.

لقد تغيَّر جيش الدولة في الشام بعد هذه النكبة ... فبعد أن قتلت الدولة مئات "الغلاة" وهم المشهود لهم بالبأس والصدق عند اللقاء من الأذر والتوانسة وغيرهم، وقُتل الآلاف هدراً في كوباني وبيجي، قام بعدها الجيش على جنود الكفالة ... وكأن القيادة عرفت أنها أخطأت الوجهة واستُدرجت إلى حرب استنزاف لا خير فيها فوجهت الكتائب إلى دمشق والسخنة وتدمر فوصلت إلى القريتين وعقيربات وبئر قصب وأطراف الشام، ولو كان هذا الزحف بالآلاف التي قطعت في كوباني لكانت الأمور في موازين القوى تختلف كثيراً.

توقف الأكراد على أطراف عين عيسى ومبروكة والعالية وجبل عبد العزيز ونصبوا السواتر بعد أن أخذوا الشريط الحدودي من كوباني إلى الحسكة وخرج من سلطان الدولة نقاط حدودية مهمة كتل أبيض ومعبرها الذي كان يمثل شريان الحياة للدولة، وسقطت في هذه الحملة تل حميس وتل براك والشدادي والقرى التي حولها، وسقطت حقول النفط التي تمثل شريان حياة آخر للدولة، فضربت هذه الحملة الدولة في اقتصادها ورجالها.

لقد كانت جبهة الأكراد نقمة كبيرة على الدولة فقد خسرت فيها جيشاً كاملا تعداده عشرة ألاف مقاتل كأقل نسبة في هذه النكبة التي تسببت في انفراط كتائب وانهيار الجيش الذي أصابه هلع شديد من جبهة كوباني وبيجي فالداخل إليها مفقود والخارج منها مولود ... بل لقد كانت جبهة الأكراد سببا في الاجهاز على الدولة من تل أبيض إلى الباغوز.

بعد سكون الجبهة نسبياً مع الأكراد وعدم السيطرة على الوضع المنفلت إثر الانحياز الكبير الذي أتبعه التسيُّب في جميع قطاعات الجيش، تم عزل أبو حمزة الرقاوي والي الرقة ونائبه أبو إسلام وعُزل كل أمراء المراكز والمكاتب في ولاية الرقة وفرزوا إلى الجيش وتولية أبو لقمان السفاح ـــ الذي كان عضواً في اللجنة وأميرا لديوان الأمن ـــ ولاية الرقة وذلك لفرض سلطان الأمن على الجيش والسيطرة على الوضع المتفلِّت من جراء هذا الانهيار الذي ولّده السياسات الهوجاء ... واستَلَم السفاح الولاية وعنده الضوء الأخضر بضبط الأمور بيد من حديد، فأنشأ مسمى الشرطة العسكرية على

الجنود وامتدت يده القذرة عليهم، فعزّر المتسيبين بوضعهم في أقفاص من حديد مثل الحيوانات والطواف بهم في الشوارع والأزقة والأسواق تحت أنظار الرعية الشامتة ... الرعية المتخلفة عن القتال، فأحكم القبضة الحديدية على الجند وبسط نفوذ الأمن عليه، ومن هذا التاريخ أصبح التعامل معهم بعد ذلك كتعامل الأنظمة الطاغوتية مع جنودها، حيث أن المتخلفين عن الغزو والرباط يُحرمون من الكفالة وتلاحقهم الشرطة العسكرية وتودعهم السجون ثم يحالون بعد ذلك إلى معسكر التوبة "الذّلة" ــ وسيأتي الحديث عنه ــ وامتد سُلطان الأمن إلى ولاية دير الزور التي وُلِّي عليها أبو سعد الشمالي ... نحو معالجة الواقع المنفلت بطريقتهم الأمنية.

وفي هذه الفترة تم تأسيس ديوان الجند وكان عليه أبو صالح حيفة العراقي ونُزع الجيش من يد الولاة الذين صارت لهم ولاية إدارية أمنية على الولايات، وتمَّ تأسيس المكتب الشرعي لديوان الجند وكان عليه أبو الوليد السيناوي وكذلك إحداث إدارة المعسكرات الذي عليها أبو حمزة الكردي حيث صار ديوان الجند يقوم بنفسه عن التَّبعية للولاية، وقُسِّم الجيش إلى فرق وألوية وكتائب، وهنا تم التفريق بين الجندي والإداري وثارت مسألة أحدثها القحطاني بفتواه أن الإداري ليس مجاهد، ورد عليه العدناني بتعميم يُثبِّت اسم المجاهد للإداري والمقاتل جميعاً ويسفه أحلام القحطاني.

المطلب الثاني: دراسة الملف المنهجي لهذه المرحلة

بعد تدوين الدواوين ووضع لبناتها وتسيير أعمالها أُنشئت لجنة شرعية تابعة للَّجنة المشرِفة لمتابعة عمل الدواوين والإشراف عليها، وكان فيها أبو زيد العراقي ثم انضم إليها أبو بكر القحطاني بعد إشرافه العملي على وضع لبنات الدواوين، وبعد فترة انتُدب إليها أبو مالك التميمي ولكنه لم يُعمِّر فيها كثيراً حتى قُتل في معركة السخنة بعد أن أصَّر على الدخول فيها.

وأشرنا إلى أن القحطاني استلم الملف المنهجي ــ بعد أن استحرَّ القتل في جماعة الحطاب ـ سواءً في تقريره كمعتقد أو القضاء به على المخالفين في سجون الأمن، وامتدت هذه المرحلة من بعد التمكين إلى قرابة السنة والنصف أي: إلى أواخر ٢٠١٥... تكلم فيها القحطاني كثيراً وأخطأ كثيراً واصطدم مع ديوان الأمن في ملفات كثيرة وأراد الخروج من سجونهم، وانتَدب عبد الناصر أبو الفداء التونسي إلى لجنة المناصحة فامتنع من ذلك بشدة ورفض حتى أثار عليه سخط عبد الناصر، ثم انتُدب أبو أنس الأسدي المصري الذي كان قد كتب رسالة بعنوان "إمعان الناظر ببطلان تكفير العاذر" التي جعل فيها التكفير صفة كمال وكانت كالتزكية له على العمل في لجنة المناصحة.

وبعد فترة تم توسيع اللجنة الشرعية فانتُدب إليها أبو مرام الجزائري من ديوان التعليم وأبو مسلم المصري بعد رجوعه من الفلوجة وشفاعة القحطاني له للَّجنة، وكان عمل اللجنة متابعة الدواوين الشرعية وتقرير معتقد الدولة للشرعيين، وفي هذا السياق كان

العمل على فتح معهد عال لتكوين قاعدة من طلبة العلم لهم ولاء لهذا المنهج ــ القاعدة الأم ــ تقوم عليهم الدولة في جميع دواوينها الشرعية تحت غطاء معهد لتخريج القضاة لفقر الدولة في هذا الباب، وسُمِّي بمعهد الإمام عمر بن عبد العزيز، وانتُدب إليه من كل ولاية عشرة طلبة من أصحاب الخلفية العلمية حتى تجمع فيه أكثر من ثمانين طالباً، وشُرع في العمل على فتحه وتقرير قول الدولة في المسائل المثارة مجدداً وفصل النزاع فيها بتقرير قول "الإمام" للشرعيين في جميع الولايات، وعُقدت مجالس مطولة في ولايات الدولة في تقرير قول الإمام وسُجِّل للقحطاني مجلس ولاية الخير، ولقد كان قوله في هذه المرحلة أشد تجهما مما كان عليه من قبل، ولعل مجالسه الكثيرة في ديوان الأمن لمناظرة "الغلاة" عدلت في منهجه وألزمته بلزوم أصول جهمية منضبطة وحاصل قوله في المسائل المثارة ما يلي:

تكفير المشركين من لوازم الدين، وحد أصل الدين هو: ترك الشرك وإفراد الله بالعبادة واعتقاد ضلال المشركين دون التكفير أو البراءة، واسم المشرك لا يثبت قبل الرسالة.

المتوقف في المشركين "العاذر" قد حقق أصل الدين وهو مسلم لا يُكفَّر إلا بعد التعريف والبيان وكشف الشبهة وانقطاع التأويل.

من لم يكفر طاغوت قومه يكون مسلما، وجاهل التوحيد مسلم، ومسألة العذر بالجهل داخلة في ضمن العوارض الأهلية وبحثها أصولي والخلاف فيها لا يدخل ضمن الخلاف في الاعتقاد بل هو من الخلاف الفقهي.

وكان في هذه المجالس يُناقش استدلالات الحازمي في طرحه، كون طرحه في هذه الفترة تبناه أكثر الغلاة في الدولة، فكان يَعرض أدلته في أن تكفير المشركين من أصل الدين ثم يُبطل الاستدلال بها على نفس النَفَس الأصولي الكلامي، و يضرب كلام علماء الدعوة النجدية ببعضه واستفرغ جُهدا في تصحيح دين جاهل التوحيد، وقال في آخر المجلس: هذا هو قول الإمام وحقٌّ على كل من سمعه من الشرعيين أن يُبلغه على وجهه ولوح بالسيف للمخالف، وكان في المجلس عبد الحكيم الوالي وأبو عبد الله الكويتي قاضي الولاية وأبو الفداء التونسي وأبو خُبيب اليمني ناظر الحسبة وأبو قدامة المغربي وغيرهم من أمراء المراكز.

بدأ المعهد في التدريس وكان عليه القحطاني كإشراف عام ويُدرس بلوغ المرام وأبو مسلم على الفقه وأبو مرام أصول الفقه والبنعلي التوحيد وأبو محمد المصري مصطلح الحديث وأبو زيد العراقي اللغة وأبو عبد الله الأردني قيِّم المعهد وطالبٌ فيه.

وكان المعهد تابع إداريا للَّجنة المشرفة وكمقر للجنة الشرعية وكانت عناية القحطاني به كبيرة جداً فكثيرا ما يعقد مجالس يستعرض فيها عضلاته على الطلبة حتى تمكَّن دينه من قلوبهم، وانتَدب القحطاني للمعهد بعض الأسماء التي كانت محسوبة على الغلاة والتي نجت من سيف الأمن بُغية التأثير عليها كسفينة التونسي وأبو رباب التونسي وأبو جابر التونسي فتأثر بهم بعض الطلبة كأبي معاذ العاصمي وأبو يحي المغربي وغيرهم وبعد مضي أربعة أشهر من بداية المعهد أُثيرت مسألة "طلب الحيِّ الدعاء من الميِّت" أثارها البنعلي في مجالس شرح كتاب التوحيد وحكى فيها الخلاف ولم

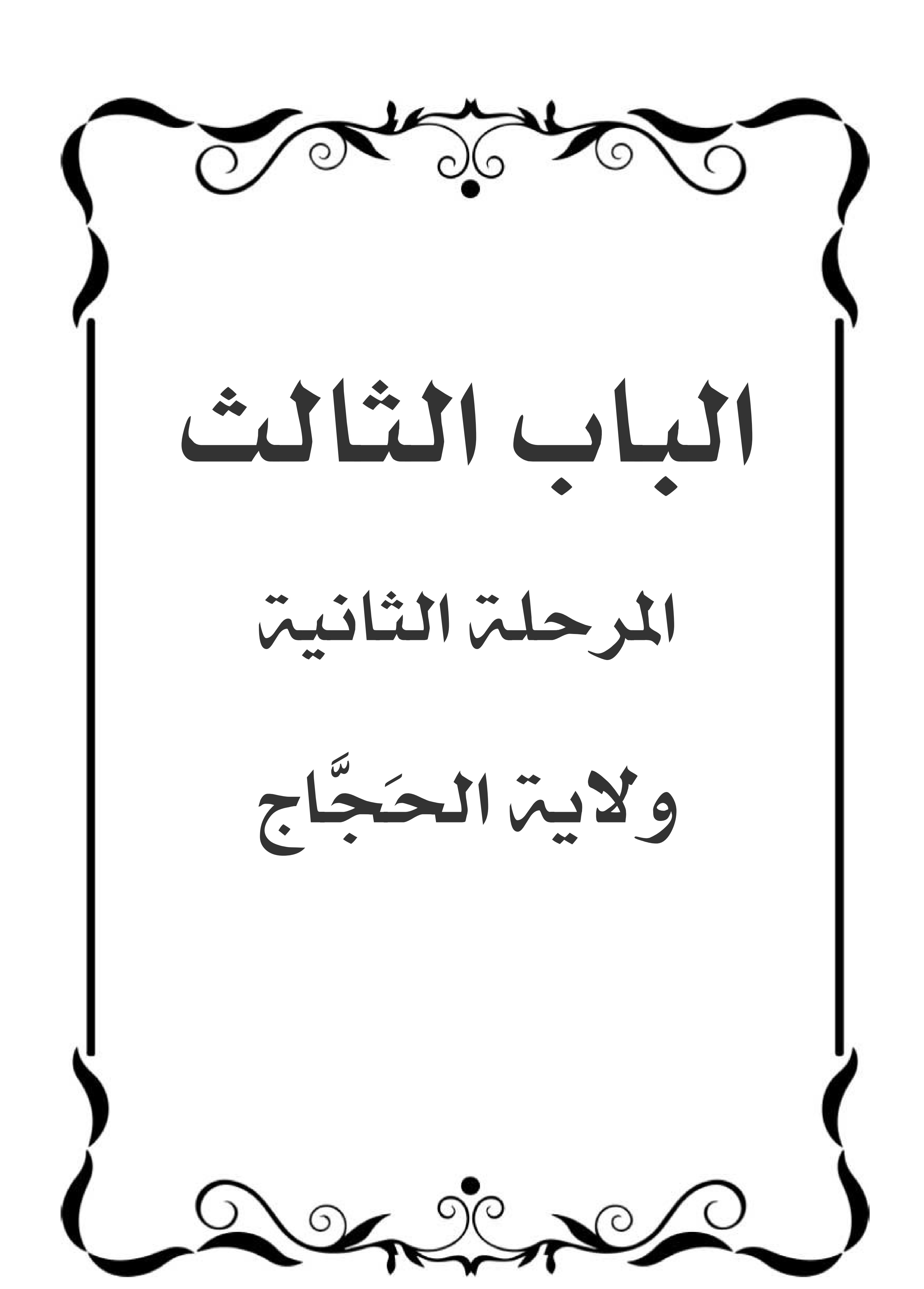
يُرجِّح وأومأ إلى سعة الخلاف فيها، وسئل فيها أبو مسلم من طرف التونسيين المذكورين وسُجِّل له كلامه وتأصيله والمناقشة في ذلك وأقرَّ أنها من الشرك الأصغر، وعقد القحطاني مجالس في المسألة وقرَّر أن سؤال الميت الدعاء شرك أكبر وأنها من مسائل الشرك التي تخفى وعذر المتوقف فيها على أصوله، وانتشرت هذه المسألة في الدولة انتشارا واسعا، وعلى إثر ذلك كفَّر أبو الرباب وأبو جابر وأبو معاذ العاصمي كل من البنعلي وأبو مسلم والقحطاني وتركوا المعهد ... وترتب على ذلك تكفيرهم للبغدادي على إثر توليته القضاء لأبي مسلم المصري وسُجنوا في ديوان الأمن وهربوا على إثر قصف التحالف للملعب.

وفي هذه الفترة أُثيرت على القحطاني مسائل كثيرة في طرحه السابق وعلى رأسها الفتوى الصنمية وهي قوله: "لو أن **زيدا** من الناس سجد لصنم فسئل عنه **عمرو** من الناس فقال **عمرو**: لا أدري ولكنه **أخطأ** بفعله فما حكم **عمرو**؟ "قال القحطاني في هذه الصورة: أن **عمرو** يُعرَّف تعريف بسيط ثم يُكفَّر"، وهذا عذرٌ منه لجاهل صفة الشرك، وليس عذرٌ للمتوقف في الاسم ــ المشرك ــ المقرّ بأن الفعل شرك بالله تعالى الذي هو محل النزاع ــ أي أن القحطاني عذر من لا يعرف صفة الشرك، فصار بهذا التأصيل يعذر بالجهل في الشرك بالله تعالى، وعُقد على إثر هذه الزوبعة مناظرة بين القحطاني من جهة وأبي سعد العتيبي وأبي حذيفة التونسي من جهة، بأمرٍ من الحَجَّاج وكان أبو الوليد السيناوي حَكماً فيها، فغرق القحطاني في الفتوى الصنمية ولم يستطع الخروج منها وتم إسقاطه من طرف خصومه الحَجَّاج والفرقان، فعُزل ونُفي إلى العراق كقاضي أسرية في

محكمة الموصل، وقُطع قرنه وخلت ساحة الشام من أكبر خصم لتيار الفرقان وعلى إثر سقوطه بدأت مرحلة جديدة من مراحل النزاع الشرعي في الدولة.

لقد كان تأصيل القحطاني وطرحه لا يخرج عن تأصيل أبو محمد المقدسي، حيث جمع أبو سعد العتيبي جميع أقواله في المسائل وطابقها مع نُقول للمقدسي من كتبه سواء من الثلاثنية أو غيرها في تسجيل فيديو فظهر التطابق والامتداد العقدي لمدرسة القاعدة الأم، وظهر تأصيل القحطاني في كتاب تبصير الحائر في بطلان تكفير العاذر الذي كتبه محمد العربي وهو عضو في الهيئة الشرعية للدولة في ولاية ليبيا، وهذا الكتاب أثار موجة نقاش واسعة في الدولة بين الموافق والمخالف وزاد قول القحطاني شناعة ورهقا باستدلالاته على تأصيلاته التي تَنفرُ منها الفطر السوية.

احترق كارت القحطاني وعلت الأصوات على صوته ووجد عليه خُصومه مستمسكات قوية عند البغدادي لإبعاده عن الساحة فتم كنسه من الشام إلى مقبرة الدعاة في العراق.



الباب الثالث

المرحلة الثانية

ولاية الحَجَّاج

استلم الحَجَّاج [١] أبو محمد العدناني ولاية الشام في ظرف عصيب من عمر الدولة، ويُراد منه استنقاذها من النار التي تأكلها وتذهب بها نحو الفناء، فاستمر في طريق الإصلاحات الأمنية التي شرعت فيها اللجنة بعد سقوط الجبهة الشرقية للرقة، فصار أعلى الهرم صاحب القبضة الحديدية والمركزية المقيتة فلا يُبرم أمر إلا بإذنه، وختوم الدواوين المؤثرة في الدولة بيده كالأمن والجند بعد الإطاحة بالسفَّاح، إذ لا يجتمع سفاحان في ولاية واحدة، ونُقل أبو صالح حيفة إلى العراق ونَسف الحَجَّاج جماعة عبد الناصر فلم تبق لهم رائحة في اللجنة ولم يبق إلا الفرقان وأبو محمد حدود، وقرَّب منه جماعة اللواء كأبي أحمد العراقي ــ المغربي ــ وأبي خباب المصري وجعل بينه وبين الشرعيين خندقا واسعاً وسيأتي الحديث عنه.

ولا يزال النزول مستمرا وبخطى ثابتة نحو الزوال فلم تُوقفه عصى العدناني السحرية ولا سياسته الأمنية، فسقطت مدينة منبج التي هي عاصمة حلب ثم جرابلس والشريط الحدودي إلى الراعي، وتسرَّب من منبج ورقات بخط الحجاج وختمه إلى العسكريين يحكي فيها قصة حصارهم في الفلوجة من باب التحريض على الثبات ويأمرهم بقتل الفارِّين من الجبهة والممسوسين ــ إن تعذر التعامل معهم ــ، وقَتلِ من أراد الخروج أو الهدنة وقال وأنتم إذا خرجتم سأقتلكم!! ... وهذا حكمٌ بغير ما أنزل الله بل حتى بعض المحسوبين على تيار القحطاني كأبي عبد البر الكويتي كفَّر الحَجَّاج بهذا الخطاب.

[١] وهو أبو محمد العدناني الناطق الرسمي لدولة العراق الإسلامية إلى خرافة بغداد

وفي سياق الإصلاحات الأمنية ذات الخلفية البعثية تم استحداث معسكر التوبة الذي كان القائم عليه أبو حمزة الكردي لمعاقبة المتخلفين عن القتال "المتسيبين" ومن عندهم خلل في السمع والطاعة للأمراء، ومن وسائل التأديب في هذا المعسكر هو نقل الحجارة من مكان إلى مكان كي يتعوَّدوا على السمع والطاعة، ومن قوانينه ولوائحه الداخلية: قتل كل من يحاول الهروب من المعسكر فمن يخرج من حدوده يَرمي عليه الحرس بالأمر بنية القتل، وهذا القانون مُثبَّتٌ بكتاب مختوم من الحجاج ... ولا أدري كيف سيقاتل معك التحالف الدولي من تعذبه وتهدر دمه، ولا يدري هذا الأحمق أن الذي أخرج هؤلاء من بيوتهم هو الديانة وابتغاء ما عند الله والخوف منه، فكيف يريد أن يَرُدَّ إلى صَفِّ الدولة من ذهب عنه الوازع الديني بتعذيبه بالحجارة وتجويعه وفتنته!! وفي الواقع أن هؤلاء المتخرجين من المعسكر لم يقاتل فيهم أحد ولم يرجع منهم أحد بل كلهم يهربون عند فرزهم إلى الجبهات، ولكن هي نظرة القيادة ــ لبنة البعث المقيت ــ إلى الجنود كأنهم عبيد يدفعون بهم عن مُلكهم ... والأعجب من هذا!! كيف يُعاقب الجندي بحرمانه من الكفالة ــ التي صارت في هذه الفترة ٣٥ دولار ــ حال تخلفه عن الرباط لمدة تزيد على عشرة أيام، والغاية من هذا التعزير هو دفعه للقتال تحت ١٦F‎و1B ويَعتقد صاحب القرار أن هذا الاجراء والتعزير سَيُثَّبِتُهُ في الجبهات!! وهذا من المضحكات المبكيات في خرافة البغدادي.

لقد كان الحَجَّاج من أشد الناس على تيار "الغلاة" وأصحاب الفكر الدخيل على الدولة، وإذا علمت أن كتيبة الصدِّيق التي أنشأها الحجاج أنشأت على فكرة الحرس الجمهوري

لحماية ملكهم من الانقلاب أو الخروج عليهم من طرف الغلاة وكل ذلك لم يقع، لذلك بقيت الكتيبة عند انشائها حوالي الثمانية أشهر لم تخرج من مقراتها في مدينة الرقة والطبقة بقصد استنفارها حال خروج الغلاة وخوفاً من رد فعل جماعة الحطاب، ولما استقر الأمر وزال الخوف أُشركت في المعارك والغزوات، ومن بنود الالتحاق بهذه الكتيبة الولاء المطلق للدولة وأميرها الحّجَّاج الذي يقبض البيعات بيده من جنودها وقوفا على هذا الولاء، ويشترطون من المقاتل عدم الزواج لمدة سنة، والغالب أنك تهلك قبل السنة من الاستعمال والانتقال بين الجبهات ــ إلا من أطال الله بقاءه ــ وفي الكتيبة أحسن اللباس والسلاح وميزانية مفتوحة على غرار باقي الكتائب ... وبعد توجه كتيبة الصديق للجبهات تم إنشاء كتيبة أمنية داخل كتيبة الصديق بمعسكر أمني لمدة ستة أشهر وظيفتها الاغتيالات في الدولة لمن قَتلُه علناً يُشكِّل عليهم بلبلة، فتغتال بعض الأسماء التي تُشكل خطراً على سياسة الدولة عبر هذه الكتيبة خارج الإجراء الروتيني ــ السجن عند ديوان الأمن ثم الحكم بالقتل ــ ويُعلَن عن قتله ويشاع أنه قتل من طرف الصحوات أو قصف التحالف ونحو ذلك، وتصفية الكثير من الغلاة والعسكريين وغيرهم وقع عن طريق هذه الكتيبة، وهذا كله في دولة المافيا تحت شعار "الدولة الإسلامية" وما خفي كان أعظم.

ومن القضايا التي أدمت قلوب المهاجرين في هذه الفترة هي قضية أبو جهاد الليبي الذي رَمى طلقة على الأرض ارتدت على ساق امرأة أثناء الاحتساب عليها فحكم عليه القاضي العنزي لمدينة الطبقة بالديَّة لتعذر القصاص مخافة الحيف، وكانت هذه المرأة

من أقارب الأمني العام للطبقة فرفع الأمر إلى الحَجَّاج فنقض حكم العنزي وعزله عن قضاء الطبقة، وحكم على أبو جهاد بالقتل سياسة أو قُل حَمِيَّة للرعية، وقتل أمام مسجد الفرقان في الطبقة والأمنيين بالبيكيسيات على سطوح العمارات، ولما قتلوه كبروا عليه وهو ينادي: "والله مظلوم يا إخوة" ويكررها في مشهد تذرف له العيون، والطامة أن أبو جهاد مصاب بطلقة في رأسه مع كتيبة البتار الليبية أثناء قتالهم في فتح دير الزور وعنده اختلاج عصبي شديد وله تقرير طبي بذلك وقفت عليه بنفسي، فهو غير مكلَّف ولكن في دين الحجاج يُقتل للمصلحة العقلاء والمجانين ... وهذا الموقف القصد منه قهر المهاجرين وتخويفهم وإرغام أنوفهم لاسيما وأن المرأة سافرت إلى ألمانيا ولم تقبل بقربان الحجاج لعنة الله عليه... وغيرها من القضايا كقضية الأخوات اللاتي اعتقلن بتهمة التجسس ومنهم أم فؤاد البلجيكية، وهذا والله لغيض من فيض الظلم والقتل بغير حق والإسراف في ذلك وما خفي وراء جدران النقطة ١١ عظيم وسيكشف ستاره في يوم عظيم.

الفصل الأول

دراسة الملف المنهجي لهذه المرحلة

بعد استلام الحَجَّاج ولاية الشام وإعطائه التفويض من البغدادي حيث صار أميراً على اللجنة المفوَّضة بدلاً من اللجنة العامة المشرفة، افتتح الولاية بإجراءات عديدة لفرض سلطانه المطلق على الولاية فصار أميراً مباشراً على ديوان الأمن وهيئة الحرب وذراعه الفرقان نائباً له وبقي أميراً على ديوان الإعلام، وفي ما يخص الملف الشرعي قام بحلِّ اللجنة الشرعية ونقل القحطاني وأبو مرام إلى القضاء وتولية أبو مسلم على ديوان القضاء وأبو زيد إلى المكتب الشرعي لإدارة المعسكرات، وأحدث الحَجَّاج مركز متابعة الدواوين الشرعية عليه الأستاذ زيد العراقي وأبو الوليد السيناوي كهيئة منفصلة عن اللجنة تابعة لها.

واستلم أبو محمد الفرقان الملف المنهجي للدولة بدلاً من القحطاني وأنشأ لجنة شرعية منهجية هو على رأسها وفيها شعبة المصري وميسرة الشامي، وهي بداية جديدة لمرحلة جديدة من حلقات الصراع في الشام السلطان فيها بيد جهة لها خصومة سياسية مع تيار القحطاني بل مع الشرعيين عموماً، لذلك صدَّرت أسماء نكرة في الساحة لها ولاء لشخصية السلطان، فشعبة المصري ـــ أبو خباب المصري ـــ كان مدرساً في معسكرات لواء الصديق رشحه الحجاج للجنة الشرعية، وميسرة الشامي ـــ أبو سليمان الشامي ـــ كاتب وإعلامي في ديوان الإعلام عند الفرقان، وبهذه التولية يظهر جلياً النَفَس الجديد في تقديم أصحاب الولاء على الأسماء العلمية في الدولة ... وسبق الإشارة أن الفرقان

بدأ بالرأس القحطاني و كان ما دونه أهون منه وأغلق مكتب البحوث والدراسات بعد أن فرَّغه من جميع الأسماء ولم يبق إلا البنعلي الذي تم الحجر عليه في هذا المكتب.

شرع الفرقان في حركة تصحيحية لمنهج الدولة بعد جس نبض الجنود فيها، فالغلاة في ازدياد، ولا دخان يعلو من دون نار ولا نار من دون حطب يؤججها، وحطب الغلو الإرجاء وعلى تصورهم هي الأقوال التي قالها كبار الشرعيين في الدولة والتي هي مستمسك "الغلاة" في تكفير الدولة، والسيف لم يعالج القضية بل زادها عناداً فلا يزال يقطع في الرؤوس خلال كل هذه الفترة والقائلين بهذه الأقوال في تكاثر وتزايد!! ومع هذه القناعة التي وقف عليها الفرقان كان عليه لزاماً البحث عن أصل الداء وتوصيف له العلاج ... ففتح أعقد ملف في الدولة على أعلى مستوى، ودخل الفرقان في ملف أكبر منه بكثير، والدكتور حديث عهد بهذه المسائل وليس له أهلية الاجتهاد في مسائل الحيض والنفاس فكيف يكون حَكماً في مسائل التكفير والدماء، فكان كالذي يسبح في محيط لا يحيط به فهو دائما ينظر من زاوية واحدة ... كيف والطبيب عليل.

وفي هذا الاتجاه عُقدت مجالس منهجية مع جميع الشرعيين المؤثرين في الدولة، وكانت المجالس بنفس أمني حيث تُستفتح بالسؤال عن المسيرة العلمية والتلقي والمشايخ والمدارس وغيرها، ثم مناقشة المسائل المثارة في الساحة، ومن رُفع عليه بعض المقالات تكون هي مادة الجلسة المنهجية، ثم يُكتب فيه تصنيف مع توصية من اللجنة الشرعية، وجُرجر لهذه المجالس أبو همام الأثري ــ البنعلي ــ وأبو يعقوب وأبو المنذر

وأبو محمد المصري وأبو حذيفة التونسي وأبو عبد الله السيناوي وأبو سعد العتيبي وأبو أنس الأسدي أبو يحي التونسي وغيرهم من طرفي النزاع... ولما حصل للَّجنة تصوُّر للخلاف المنهجي في الدولة صار العمل على إخراج بيان علمي يُفصَل به النزاع ويكون هو القول الذي تتبناه الدولة، **وهي سابقة في تاريخ الدولة: الكتابة بشكل رسمي في قضايا عقدية شائكة،** أَلجأ إليه شدة الصراع وبُغية إسقاط منهج القحطاني بعد إسقاط شخصه، وعُقدت تسعة عشر مجلسا مع الطرفين في تحرير هذا البيان حتى يكون محل وفاق بينهم وشارك في كتابته أبو مسلم المصري والأستاذ زيد العراقي وأبو زيد العراقي وتركي البنعلي وأبو الوليد السيناوي بالإضافة إلى اللجنة الشرعية، وخرج البيان بختم مركز متابعة الدواوين الشرعية، وفيه تجريح شديد لمنهج القحطاني ووَسْمِ قوله بالبطلان وفي المقابل تسقيط لقول الحازمي، فجاء البيان يهدم القولين ويُلفِّق قولاً بينهما بنفس سياسي فقرر ما يلي:

تكفير المشركين من مسائل الدين الظاهرة ــ لا يثبت بالفطرة ــ ويُكفَّر المتوقف في تكفير المشركين ابتداءً بمناط التكذيب دون إقامة الحجة أو البيان والتعريف.

ودُفِعَ القولُ أنَّ تكفير المشركين من أصل الدين، بِعلَّة لزوم الدور والتسلسل في التكفير وفساد اللازم يدل على فساد الملزوم.

ودُفِعَ قول القحطاني ــ من كونها مسألة خفية يلزم في كشفها إقامة الحجة وانقطاع التأويل ــ بِعلَّة ظهور الدليل وحصول البيان وانتشار العلم في أراضي الدولة.

ورجعوا في آخر البيان إلى إثبات احتمالية وجود الخفاء في بعض الأماكن خارج سلطان الدولة، وعليه فالمتوقف الذي يَكفُر في الدولة ابتداءً لانتشار العلم وقيام الحجة قد لا يَكفُر خارجها إلا بعد البيان وإقامة الحجة، وبهذا التأصيل يكون البيان "محلي"، وعند التحقيق يتبين أن قول البيان والقحطاني يخرج من مشكاة واحدة ويُبنى على أصل واحد: في أن البراءة من المشركين واسم المشرك يثبت بالوحي والسمع ولا يثبت قبل الرسالة، وهو قول الأشاعرة: في أن أسماء الدين لا تثبت إلا بالوحي، وهو فرع عن قولهم في المسألة الأم التي هي التحسين والتقبيح العقليين، أي لا تحسين ولا تقبيح إلا بالوحي، إذا فالمناط هو التكذيب وليس فَقْدُ أصل الدين الثابت بالفطرة أو الجهل به، فالتكذيب هو مناط القولين ــ القحطاني والفرقان ــ

ويكون الفرق بين القولين ــ القحطاني والفرقان ــ هو في الظهور والخفاء وهو خلاف نسبي، وعلى هذا الأصل يكون قول القحطاني أوفق وأضبط لأصول الأشاعرة منه للبيان، ولا تقوم للبيان قائمة عند النظر في كلام المتأخرين على رأسهم ابن تيمية ــ الذي لا يخرجون عن قوله جميعاً ــ، حيث يُقرر في غير موضع أن المسائل الظاهرة قد يدخلها التأويل ويُعذر فيها الحديث عهد بكفر والذي يعيش في نائية وحكى عليه الإجماع، وعليه فالمسائل التي قد يعتريها الخفاء أو يرد عليها التأويل باعتبار الدليل أو الزمان والمكان تحتاج إلى كشف وبيان وهذا الذي يَرُدُّ هذا البيان إلى قول القحطاني ... إذا فقول البيان هو فرع عن قول القحطاني يتخرج عليه، وهو قفزة وطفرة غير موفقة من صاحب البيان..! وَوسمُ قول القحطاني بالباطل على هذه الأصول لهو ذرٌ للرمال على

أعين الجهال، ومن اختار القول على هذا ــ أصل الأشاعرة ــ حتماً سيؤدي به إلى غلق باب التكفير ولا ينضبط معه إلا بالحواجز والعقبات التي هي كشف الشبهة وانقطاع التأويل.

أما بناء القول في البيان على انتشار العلم وظهوره وزوال الجهل واندثاره في الأماكن التي تسيطر عليها الدولة غير صحيح، فقائل ذلك قد أبعد النجعة وقوله مخالف للواقع بل هو وهم وخيال، بل الجهل بين الجنود كبير جداً فضلا عن الرعية، وأذكر أن بعض العسكريين في غرفة العمليات لمدينة الرقة قام بامتحانٍ للجنود في المسائل العقدية فرسب فيه أكثرهم في مسائل معلومة من الدين بالضرورة.

خرج البيان بختم الأستاذ زيد في مسألة واحدة من مسائل النزاع وهي العاذر أو المتوقف، وكان ردُّ فعله في الساحة من الناحية العلمية والسياسية سلبي جداً فقد زادها رهقا، حيث أن الأقوال صارت ثلاثة بظهور قول السلطان ... ولما وصل البيان إلى العراق استنكره القحطاني وكتب أبو محمد الأزدي رداً عليه ورجع على إثره القحطاني إلى الشام وأنكر بشدة على البنعلي مشاركته في كتابة هذا البيان، فكتب البنعلي شرح على البيان يُخرِّجُه فيه على أصولهم ــ ولم يُنشر ــ ليُرضيَ به الطرفين ولم يفلح.

استنكر القحطاني خروج البيان دون أن يُناقش فيه وطلب منه البغدادي كتابة رد للنظر فيه فكتب رداً في ورقات، وكتب أبو يعقوب المقدسي ردا على البيان وانتشر بعد ذلك، وتعالت أصوات الردود من جماعة القحطاني فاضطرت اللجنة الشرعية أن تكتب ردوداً على الردود ورُفعت إلى البغدادي، وبعد فترة جاء كتاب من البغدادي

بختمه يفصل في هذا النزاع وألزم جميع الأطراف بقول الفرقان، فكان صوت الفرقان والحَجَّاج أعلى وأسمع من صوت القحطاني، وما كان البغدادي ليترك قول الساسة لقول القحطاني فقد كان الاختيار سياسيا بحتا وليس علميا نظريا، وإلا على تلك الأصول التي اختارها القوم فالقول قول القحطاني، واستقر بعد ذلك قول البيان ولم يتبناه كعقيدة كلا الطرفين بل بقي في رفوف مكتب السلطان.

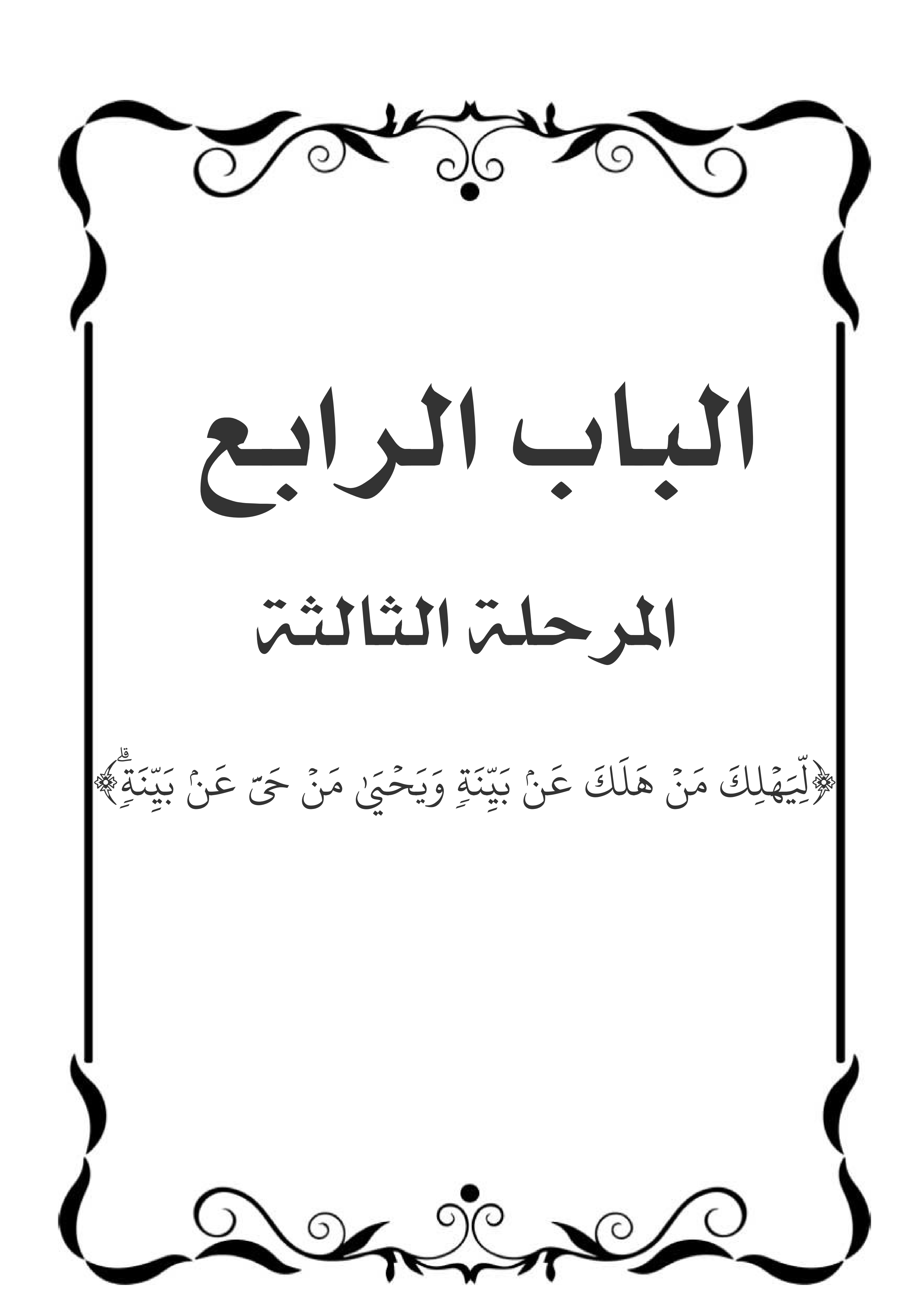
ومن أعمال اللجنة الشرعية في هذه المرحلة إعادة كتابة مقررات المعسكرات وشرع فيها الفرقان وميسرة، وكتابة مُقرر للأمن في تقرير قول أهل السنة في اثني عشرة مسألة من مسائل النزاع وما يقابلها من قول الغلاة والجهمية حتى يكون لهم ميزان للتصنيف على مقتضاه.

وما لبث طويلاً أن هلك الحجاج ورثاه البنعلي في إذاعة البيان ــ وكان أشد الناس عليه ــ ثم قتل بعده بأسبوع الفرقان بعد أن تولى ولاية الشام من بعده، وغرد أبو محمد المقدسي بزوال قطب الغلاة ــ على زعمهم ــ واستبشروا بهلاكهما على أمل رجوع مدرسة القاعدة الأم إلى المكان المرموق وسدَّة الحكم، **لقد كان خروج بيان الفرقان سابقة في الدولة فتح بابا لم يُسد إلا بالبيان الكامل الفاضح لمنهج الدولة بتوالي البيانات والسلاسل**، الباب الذي لم يُسد إلا بظهور الحال وزوال الغبش على الغافلين الطيبين ... لقد حرصت الدولة على طول مدة قيامها على الضبابية المقصودة في عدم إظهار قول فصل في مثل هذه المسائل الشائكة، بل حرصت على أن لا يُنسب إليها قول من أقوال المتصدرين في هذه المسائل، ومن أخطأ من شرعييها ــ التي هي صدرتهم ــ يُنسب

الخطأ إليه ويرد قوله عليه ولا تلتزم الدولة بقبوله وترفض أن ينسب إليها غَلطُهُ، ولكن هذه المرة لم تترك الخصومة الشديدة مجالا للسكوت بل أنطقت الفرقان الذي هو أحرص الحُجَّاج على تلك السياسة المقيتة، وهو الذي يعرف جيداً منهج جماهير الشرعيين في الدولة وإلا فالغلاة أمرهم أهون عنده من ذلك، وإن كانت هذه الخطوة قد ولَّدت خصومات بين السلطان وطائفة كبيرة من الشرعيين لا يكفيهم أنه قول الدولة لاعتقاده وتبنِّيه، وإن كانوا قد يحنون رؤوسهم لأي عاصفة هوجاء ولن تستطيع الدولة اجتثاثهم كما اجتثت الغلاة فأصبحت الدولة بعد البيان الأول ولها خصمان ــ بعد أن كان خصما واحداً ــ هم المدرستان حيث أنها اختارت خندقا صعباً ومسلكاً وعراً في التوفيق بين التيارين ... فالقحطاني لم يسكت وليس بالرأس الذي يُقطع ولا بالعود اللين الذي يميل بل جلس في الشام يُجيش أتباعه على البيان ... و"الغلاة" لن ترضيهم الخطوة إلى الأمام ولا الخطوات، ومن عَلِم منهم عَرَّف الذي لم يعلم أن هذا البيان ليس بقول لنا ولن يكون، فرسم البيان منهجا جديدا ليس له قائل إلا السلطان حيث أبطل قول الطائفتين وسفه أحلامهما، وإن كان قد خطا خطوة إلى الأمام وغازل الغلاة ووافقهم في حكم من الأحكام لكنه خالف أصولهم ولم يلتزمها.

لم يكن البيان علمياً ولا فيه تقرير للمعتقد بل كان بيانا سياسياً سُلك فيه مبدأ مسك العصا من الوسط، لذلك لم يجد هذا القول مكان له في الدولة بين الطائفتين فلا الجهمية تقدموا إليه ولا الغلاة رجعوا إليه ومات بموت قائله.

ولم تكن الدولة لتترك قول القحطاني ــ الذي خالف هوى الساسة وأرادوا خلافه ــ إلى قول الحطاب الذي أفنت فيه طائفته، بل شطحت بينهما وغردت خارج السرب، وما لبث هذا القول أنْ يندرس بموت صاحبه ... قولٌ يَنضَحُ بنفسية العلو على الجميع إنها نفسية الحُجَّاج، فبعد أن نظر الفرقان إلى خلاف الشرعيين في الدولة غلَّط الطائفتين ثم تفلسف حتى أحدث قولا بينهما، إنها النظرة ذاتها التي تدفع صاحبها إلى الفناء: "ما أريكم إلا ما أرى" ... والقول إلا ما أقول ... وأنتم كلكم غلط وما تعرفون شيء في العلم ولا السياسة ونحن الحُجاج أهل الوصاية والدراية وما القول إلا ما نقول ... ولا يدري هذا المسكين أن من تكلم في غير فنه أتى بالعجائب وأضحك عليه أصحاب الشأن بنوادر الغرائب ... نعم لقد زل حمار الجهل في الطين.



الباب الرابع

المرحلة الثالثة

﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ﴾

بعد خلو الساحة بهلاك الحَجَّاج والفرقان رجع عبد الناصر وأعاد هيكلة اللجنة، فجعل فيها أبو حفص على الولاَّة وأبو أسماء التونسي على الاقتصاد وأبو إسحاق العراقي على الدواوين الشرعية وأبو سعد الرقاوي ــ عبد الحكيم ــ على الأمن وأبو أيمن المغربي على هيئة الحرب وأعطى كل عضو ختم اللَّجنة وفوضه على أعماله ونزع المركزية المقيتة التي أحدثت تراكمات كبيرة في الدولة، وأبقى على اللَّجنة التي أحدثها الفرقان وأضاف إليها خليط من الطرفين فانتُدب إليها أبو زيد العراقي وتركي البنعلي وأبو عبيدة التركي وأوس القاضي بالإضافة إلى شعبة المصري الذي أقرَّهُ مُؤقتاً أميراً للَّجنة بعد مقتل ميسرة الذي قُتل بعد مقتل الفرقان بأيام ... ولم يستمر هذا الممزوج الشهر بتمامه حتى حصلت بينهم صدامات كثيرة على قضايا متعددة منها قضية أبو عبد الرحمان الزرقاوي الأردني فجهة تُعدله وجهة تُجرحه، فعزل عبد الناصر الجميع وسلم الملف إلى أبي حفص الجزراوي [١] ومعه أبو زيد العراقي وانتُدب إليها أبو أحمد الفرنسي الذي كان مع أبو زيد في المعسكرات الشرعية وقبل ذلك في الإعلام ... وفي هذه الفترة ظهر كتاب التبصير بحال المعتزلة الجدد في تسلسل التكفير لأبي مرام الجزائري الذي تغير قوله في هذه المسائل فانتدبه على إثر هذا التغيير إلى اللجنة الشرعية، وفك الحجر على مكتب البحوث والدراسات وفُرز إليها أبو محمد المصري وأبو مسلم المصري

[١] وكانت الغاية من تسليم الملف لأبي حفص هو محاولة التوفيق بين القولين كسياسة، ولكن أبو حفص صاحب خلفية فهو من جماعة الحطاب الذي كان معه قديما في جيش المهاجرين والأنصار فرجع إلى قوله القديم.

بعد عزله من ديوان القضاء من طرف عبد الناصر وتوليه أبو العباس الجزراوي ونائبه أبو عمر المصري.

وكانت اللجنة الشرعية تسير على نفس مسار الفرقان مع توصيات البغدادي بإكمال المشروع العلمي للفرقان، سواءً في إتمام كتابة المقررات أو كتاب الفرقان بين أهل الحق والبطلان، بالإضافة إلى الإفتاء ومناقشة ما يكتبه مكتب البحوث والجلوس مع المخالفين سواء في ديوان الأمن أو خارجه ومتابعة الدواوين الشرعية.

وبعد نقاشات واسعة داخل اللَّجنة الشرعية استقر القول على أن اسم المشرك يثبت قبل الرسالة وأن البراءة من المشركين من أصل الدين ــ الذي يثبت بالفطرة ــ، ومع أن هذا الطرح يخالف طرح الفرقان، فلا تزال العبارة نفسها: **أن تكفير المشركين من أصول الدين الظاهرة** في محاولة للتلفيق بين القولين تلفيق سياسي لا علمي.

أما في مسائلة الشعوب فحادوا عن القول بأسلمتها وتركيب الديار ــ قول القاعدة الأم ــ إلى التوقُّف والتَّبيُّن وأصَّلوا لهذا القول بأدلته، وعلى إثره وقع نزاع داخل اللجنة سواءً في التوقف في الشعوب أو في كتابة العبارة الملفقة للمتوقف التي أثبتها الفرقان والتي أريد بها: أن إجراء الأحكام ــ التكفير ــ من المسائل الظاهرة أما البراءة ــ التي هي الإخراج من الدين ــ من أصل الدين، ولكن الإجمال وعدم التفصيل سيؤدي بالقارئ إلى الفهم على ضوء تأصيل الفرقان، وكان هذا الإجمال مقصوداً عندهم لحاجة في نفوسهم.

والصدام كان كبيراً بين أبو مرام ــ الذي كان يؤصل لكفر الشعوب والأقوام ــ وأبو زيد العراقي الذي يريد قولا وسطاً بين ذلك بالتوقُّف والتبيُّن، وفُصل النزاع لأبي زيد، حيث إن الساسة لا يسمحون البتة بإجراء الكفر على عموم الديار والأقوام وتَبنِّي هذا القول بين الأنام، بل هو من الخطوط الحمراء التي لا تتجاوزها الدولة ولا يمكن لها أن تقول به وإن كان حقا في ذاته، فهو خروج عن مسار القاعدة الأم في مسألة جوهرية وفيصليَّة في مسار التيار الجهادي عموماً ... ولم يحصل بعدها توافق في اللجنة حيث إن أبا مرام طَرَد أصوله وسار عليها فأحرج اللجنة في مسائل كثيرة كمسألة طلب الشفاعة من الاستشهادي التي أفتى فيها بالشرك الأكبر للمستشفِع، وأفتى بكفر الجنود المقتحمين بالرايات والأعلام الوطنية، وفي حكم الهوية السورية والتعامل بها في مراكز الدولة كالحسبة والشرطة، وغيرها من المسائل التي لم يكن للَّجنة الجُرأة على الفصل فيها ولم يكن لهم استعداد بالدفع بهذه المسائل إلى الساحة وإحداث صراع جديد لا طاقة لهم به، ورغم كل ذلك نُسب إلى اللجنة القول بها فزاد به الشرخ اتساعا، ولما وصلت هذه الأقوال إلى جماعة القحطاني والبنعلي ثارت ثائرتهم وكثر تشنيعهم وتشغيبهم عند البغدادي.

وانحصر النزاع في مسألة حد أصل الدين وبالتالي حكم المتوقف "العاذر" ومسألة: هل اسم المشرك يثبت قبل الرسالة؟ باعتبارها العُقدة التي تفصل بين المنهجين، وحكم الديار والأقوام، واجتهد تيار القحطاني ــ في هذه الفترة ــ في تجميع كلام ابن تيمية وعلماء الدعوة النجدية في عدم تكفير المتوقف، وفي المقابل تَستفرغ اللجنة جُهدها

في توجيه هذه الرسائل والأقوال ويتراشقون بالردود والاعتذارات كأن القوم يقررون دين ابن تيمية أو ابن عبد الوهاب لا دين الله عز وجل، واجتهد أبو حفص في التوفيق بين التيارين، وعقد مجالس عديدة في محاولة التقارب بين المنهجين فباءت كل المحاولات بالفشل ولم تُفلح سياسة أبو حفص في التقريب بين المنهجين.

ووصلت اللَّجنة مع القحطاني إلى طريق مسدود حيث ألزمته بالتوبة على العلن في إذاعة البيان على أقواله القديمة كالفتوى الصنمية وغيرها فلم يقبل بذلك، فاستقر قول اللجنة على كفر القحطاني والبنعلي على إثر السؤلات البغدادية ومقررات التوحيد للمعسكرات، ولم تقدر على فعل شيء، وكما قال عبد الناصر عن القحطاني أنه ممتنع بسلطان يقصد البغدادي ... بالإضافة إلى امتناع أبو مسلم المصري وأبو محمد المصري العمل في اللجنة بعد انتدابهم إليها في محاولة إلى التقارب.

وفي خطوة عملية من اللَّجنة نحو التغيير، تم إخراج بيان إلغاء العمل بالمقررات المتداولة في المعسكرات كالتقريرات المفيدة وتعلموا أمر دينكم والسياسة الشرعية وغيرها، بعد كتابة رسالة في الأخطاء المنهجية لهذه الكتب، ولم تستطع اللَّجنة إخراج كتاب مجمل أصول الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، الذي شرع فيه الفرقان وأكمله وحرره أبو مرام فبقيت المعسكرات بدون مقررات.

وفي هذه الفترة تعالت الأصوات من الطرفين وكثر الأخذ والرد وتداول الجنود هذه المسائل ووضع السلاح الكثير منهم إلى حين الفصل بين القولين، وانتشرت أقوال القحطاني الكفرية وطرحه الجهمي، وصار الامتحان بالقحطاني والبنعلي والتعصب

على أقوالهم من طرف أتباعهم، وضاق الحال على الدولة بعد قُرب محاصرة الرقة وسقوط الطبقة والنزوح الجماعي للدواوين والهيئات إلى دير الزور، حيث أنها صارت في هذه الفترة مركز للدولة.

وفي هذه الفترة انتشرت صوتية للمعتصم التونسي بعنوان:" إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله"، تناول فيها حال الدولة وهاجم فيها رموز كثيرة منها السفاح وديوان الظلم والقحطاني والبنعلي ورماهما بالتجهم وربط بهم الانحسار وتوعد البغدادي بأن هذه الكلمة لها ما بعدها إن لم يُحدث إصلاحا شاملا في الدولة ... لقد أحدثت هذه الكلمة زلزالاً في الدولة فقد لامست شغاف القلوب لما فيها من حقائق يعيشها الجنود وواقعٌ على وشك الانهيار، وكانت هذه الكلمة هي القطرة التي أفاضت الكأس وعجلت بخروج البيان في البراءة من أقوال تيار القحطاني.

لقد كان الظلم في الدولة وليد سياسة مُمنهجة وليس ممارسات أفراد ينتهي الظلم بعزلها أو موتها ... إنها دولة أمنية قامت على هذا النَفَس الأمني الذي يأخذ الجنود ــ فضلا عن غيرهم ــ بالوهم والشبهة سواء قبل التمكين أو بعده، وقناعة الحُجاج أن اجتثاث سياسة ديوان الأمن ــ مصدر سياسة الظلم ــ هو زوال الدولة، وبهذا لن ينتهي الظلم والحكم بغير ما أنزل الله في الدولة الذي هو وليد النظام الأمني الاستخباراتي الوضعي.

ضاق عبد الناصر ذرعاً وأراد المفاصلة لاسيما وقد تجاوب مع اللَّجنة الشرعية في جميع المسائل ووقف على تجهُّم القوم وتلاعبهم بدين الله، وطلب كتابة بيان فيه براءة الدولة من أقوال جماعة القحطاني التي هي مُستمسك من يكفِّر الدولة، فتمت كتابته من

طرف اللجنة الشرعية، فذُكر فيه مسائل كثيرة منها: المتوقف والمتحاكم والمنتخب والطائفة الممتنعة والتسلسل والشعوب على صيغة: ومنهم ومنهم ... واستُفتح البيان بعرض أقوالٍ لأعلام الدولة كالزرقاوي والبغدادي الضابط والعدناني وغيرهم، في محاولة تقرير أن الدولة على معتقد هذا البيان منذ نشأتها!! وخُتم بالتشنيع على المعتصم التونسي وبيان أن هذا المسلك خلاف السنة في نصح أولياء الأمور، وخرج البيان بختم عبد الناصر والي الشام بعنوان: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢]، وتم تعميمه على جميع الجنود، فكان طعنة قوية لجماعة القحطاني فقدوا بعده وعيهم وتلفت به أعصابهم وجن جنونهم واستعلنوا في حربهم فكأن البيان يخاطبهم بأعيانهم بما انتشر عنهم من أقوالهم.

كان هذا البيان أوسع من بيان الفرقان وفتحت فيه مسائل كثيرة وتناولت فيه اللَّجنة شريحة كبيرة من المخالفين لها، فكلٌّ منهم وجد نفسه مردودٌ عليه بِلُغَةِ التجريح والاسقاط والبراءة من قوله وشخصه، وكان البيان مجرداً من الأدلة فلم يترك في طرحه فجوة للرد والمناقشة، إذ هو ذكر أقوال المخالفين وهدمها **بنَفَسٍ سياسي** سواء في نسبة هذا المعتقد الجديد إلى أعلام الدولة المتقدمين وهذا افتراء عليهم، أو في طرح الأقوال المخالفة لقول الدولة وردها وذكر قول الدولة فيها مع الإجمال في بعض المسائل كمسألة المتوقف التي أثبت فيها عبارة الفرقان المجملة التي سبق الإشارة إليها وهي: أن تكفير المشركين من أصول الدين الظاهرة.

وبعد انتشاره بأيام رد البنعلي على البيان برد مفصل ــ في ٢١ ورقة ــ بنفسية جريئة لم تُعهد عليه من قبل، وخاطب فيه الحُجَّاج بعبارة واضحة مفادها: على مقتضى هذا البيان سيُكفِّر آخر الدولة أولها وذكر شواهد على ذلك من عبارات ومعتقدات الأعلام المتقدمين التي يَكفُرُون بها على مقتضى هذا البيان ... لقد لعب البنعلي على وتر حساس وهو الأعلام أو الأصنام وأن البيان يهدمها وينسفها ... وللأسف كان هذا كافيا للحُجَّاج في رد المسار إلى الاعوجاج فهم مستعدين لاستعداء الناس كلها من أجل علَمٍ واحد من أعلامهم فكيف بأعلامهم كلها، كما قال العدناني لمَّا ذُكر عنده أبو عمر البغدادي فقال هذا نعادي الناس كلهم من أجله ... لم يُوظف البنعلي قلمه في رد علمي إلا في مسألة الطائفة الممتنعة حيث أن لغة العلم لا تُقنع من يريد اقناعه فاكتفى بالتشنيع على سَنَنِ "**كفَّرت آبائنا**" فكان رد الحُجَّاج ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢]، ... لقد اكتفى البنعلي بكشف مقاصد كاتب البيان أنه يقول: تكفير المشركين من أصل الدين وأنه يقول: بتكفير الشعوب ... مع التدليس والتشنيع بذلك، فبُطلان ذلك عند مريدي دين القاعدة الأم معلوم بالضرورة ولا يحتاج إلى الرد عليه أو المناقشة فيه، فكان رده فتحاً لعيون الحُجَّاج على حقيقة المسار المنهجي للجنة، وكان رده صيحةً لجماعة بوكا ــ الدولة العميقة ــ بتدارك الأمر وإلا سيأكلهم المنهج الجديد.

لقد غصَّ جماعة سجن بوكا بهذا البيان ومزقه الحجي عبد الله لمَّا قرأه واستنكر أن يخرج مثل هذا البيان دون إذنه وأمره، فمزق الله ملكهم وشتت شملهم وسامهم سوء

العذاب وسلط عليهم فاجرات البككي تسوقهم بالقيود والأغلال فحسبنا الله ونعم الوكيل.

وفي المقابل تجاوب الكثير من الجنود الذين أُلزموا بقراءة البيان وأصبحوا يسألون عن حكم الأعلام بل صاروا يطالبون الدولة بالتوبة وقلع البذرة الخبيثة وغرس بذور التوحيد الخالص في أرض الشام المباركة وإقامة الأمر على أصول سليمة والنجاة بهذه السفينة ... لقد كانت أحلام الجنود عابرة اصطدمت بصخور عاتية وأمواج من الغضب الجامح التي تأكل أتباع السلف الصالح.

لقد كان البيان خطوة عرجاء في طريق مسدود، ولم تُلطِّف العبارات المطاطة والنفس السياسي الجو المشحون حيث لم يرض أيٌّ من الطرفين بالتنازل أو الالتقاء في نقطة بينية... بل صُدم جماعة بوكا بما صار إليه الأمر في الشام، وقاموا مع جماعة القحطاني قومة الرجل الحازم فاستنفروا أصحاب السبق والأقدام الثقيلة والأسماء المطاعة والملأ، وكلهم مجمعون على اجتثاث المنهج الطارئ وإعادة الأمر إلى سبيله القديم ونهجه السقيم، فأجمعوا أمرهم وتواطؤا عليه وعلى رأسهم حجي عبد الله والقحطاني وأكثر الشرعيين في الدولة والقضاة والدعويين ومعهم الملأ، فألغيت اللجنتين وصار عبد الناصر تحت إمارة عبد الله لا يخرج عن شيء إلا بإذنه، وبدأوا في المكر الكبّار والغدر اللئيم، ولقد كان البغدادي على مسار الفرقان حريصاً عليه وهو الذي حسم القول له في النزاع الأول وكان مُطَّلِعا على كل ما يُكتب في اللجنة بحذافيره موافقاً عليه بخطه ودعائه بالتوفيق والسداد، وأُرسل إليه كتاب مجمل الاعتقاد وكتاب "الفرقان بين أهل

الحق والبطلان" فأقره إلا نقل للقرافي المالكي قال إنه ليس على أصول أهل السنة والجماعة، وحتى البيان أُرسل إليه بعد نشره واستشكل عبارة المتوقف وطلب سلفا لها وكُتب إليه في ذلك فرد بالثناء الجميل ... واستدعى أبو زيد العراقي فجاء من عنده ووجهه مستنير وقال أبشركم أن البغدادي على معتقد أهل السنة والجماعة ... ولكنه يدور كما تدور الحية الرقطاء يريد إقامة ملك لا إقامة دين يغير دينه برؤيا رُؤيت له [١]، ولم يستطع مخالفة الملأ بل حمل لوائهم ومكنَّهم من خصومهم.

ووقعت أحداث غريبة بعد البيان فقُتل البنعلي في أوائل رمضان بقصف التحالف ولم يبقى القحطاني بعده الشهرين فلحق به، وقُتل أبو عبد البر الكويتي في سجن الأمن ـــ وكان قد رد على البيان ـــ وكأن أمر قتل هذه الأسماء كان مدبراً له في هذا الزمن بالتحديد، وقتلهم كان بمثابة إراقة دمائهم على أقوالهم وعقائدهم وردودهم ليزداد أتباعهم ثباتاً على دينهم ويزداد الشرخ عُمقا وسِعةَ فلا التقاء بعد ذلك إلا بإفناء الطائفتين ... لا أدري ولكن كان في داخلي إحساس لا يكاد يكذب أن أيادي خبيثة تعمل في هذا الخندق فسيفها على الجهمية وسيفُ الدولة على الغلاة ليقضي الله أمراً كان مفعولا.

[١] وهي رؤيا رأتها أم دعاء ـــ زوجة البغدادي ـــ ومفادها: أنها رأت البغدادي دخل على بنته ـــ التي هي زوجة العدناني ـــ وكان العدناني في غرفته ـــ بعد مقتله ـــ فاستأذن البغدادي للدخول عليه فامتنع العدناني من رؤيته وقال: إنه ضيَّع الدولة.

وكما كان متوقعاً فبعد مقتل القحطاني مباشرةً اجتمع البغدادي بالملأ لإحداث التغيير المنشود ترسيخا لمعتقده ووفاءً لصاحبه ورفيق دربه، وبعد جلوس البغدادي مع من بقي من التيار ــ القاعدة الأم ــ اتفقوا على عقد مناظرة يتحدَّد بها مصير اللجنة، وكل شيء كان أثناء تلك الجلسة قبل المناظرة مرسوماً، وتم استدعاء أبو حفص وأبو زيد لهذا المجلس فجأةً فوجدوا أنفسهم بين حضور كبير فيهم وجهاء الدولة: البغدادي والناطق الرسمي وحجي عبد الله وعسكريها بلال عشرة وأبو أحمد العراقي وأبو محمد العسكري ــ الهاشمي ــ وكوكبة من الشرعيين على رأسهم أبو مسلم المصري وأبو محمد المصري وأبو يعقوب المقدسي وأبو رغد الجزراوي وأوس القاضي وأبو عبد الرحمان الزرقاوي وكانت كجلسة مناظرة في ثوب تصفية حسابات ... ووجد أبو حفص نفسه أمام جمهور عريض وهو ليس بطالب علم فضلاً أن يكون مناظراً وهم يعرفون هذا جيداً، وأما أبو زيد فهو رعديد أسكته بريق السيف المسلول فهو يعرف جيدا أن المهزوم مطعون وأنها كَرّة خاسرة وحرب محسومة والكفَّة مائلة فأسكته الجُبن والخَوَر عن نصرة المنهج الذي سلكه ... وطالب أبو حفص حضور أبو مرام وأبو أحمد الفرنسي فرفض الجميع ووافقوا على حضور: أبو عمر المصري نائب ديوان القضاء و أبو الفداء التونسي ولكنهم رفضوا الحضور وحضر بعد أيام عبد الناصر.

فكانوا يريدون أشخاص بعينهم من المناظرين ليمسحوا بهم بلاط السلطان وليستعرضوا العضلات أمام البغدادي فكان لهم ذلك، فتمت عشرة أيام نُوقشت فيها المسائل الشرعية وحسمت لصالح أبي مسلم وقُرر فيها ما يلي:

تكفير المشركين من لوازم الدين وليس من أصوله.

اسم المشرك يثبت بعد الرسالة بالوحي والسمع.

الشرك الأكبر ليس على مرتبة واحدة فقد يدخل الخفاء ويعتريه التأويل في بعض أفراده ـ ليصححوا القول بدخول الجهالة في حقيقة الانتخاب ـ.

أسلمة الشعوب والأقوام على قولهم القديم.

اتفق الجميع على هذه المسائل وألزم به أبو حفص وأبو زيد ورجع النقاش إلى دائرة المشرك كالمنتخب الذي يجهل حقيقة الانتخاب، والتأصيل على عدم كفره ليرفعوا الكفر عن أعلامهم كالبغدادي الضابط وعقيدة بوكا في عدم تكفير المنتخبين ابتداءً.

وبعد النقاش في المسائل الشرعية وثبوت القول فيها على ما سبق تقريره شرع المجلس في مسائل سياسية كمسألة إخراج المهاجرات إلى إدلب، المشروع الذي مضى فيه عبد الناصر وقطع فيه شوطاً، واتهم أبو محمد وأبو مسلم عبد الناصر بالخيانة العظمى وتفريغ الدولة من الرعايا!!، وتم إلغاء المشروع والإبقاء على العوائل ليموتوا جوعا أو قصفا بعد ذلك، وتم على إثر ذلك عزل اللَّجنة كلِّها وتكليف أبو محمد المصري على اللجنة الشرعية بطلب من أبي مسلم وأبو يعقوب على الإفتاء وأبو رغد على ديوان الأمن ـ المكتب الشرعي ـ وأبو أحمد المغربي على ديوان الأمن وهيئة الحرب والإبقاء على حجي عبد الله على اللجنة وفيها حجي حامد وأبو عبد الرحمان التميمي.

استلم الملف المنهجي أبو محمد المصري وأبو مسلم وكُلِّفوا بإلغاء البيان وكتابة سلسلة محاضرات كتقرير لما أُتفق عليه في المناظرة، وتم سجن اللجنة السابقة كلها أبو حفص وأبو زيد وأبو مرام وأبو أحمد الفرنسي وعبد الحكيم وأبو أسماء التونسي وأبو سيف المصري ــ أمير ديوان الأمن سابقا ــ وأبو أنيسة الداغستاني وأبو بصير القرشي ــ من المكتب الشرعي لديوان الأمن ـ وأبو داوود المغربي ـ إداري اللجنة الشرعية المنهجية ـ.

لقد نزِع البغدادي السيف من اليمين وأعطاه لليسار في غباء سياسي لا نظير له، ولكنه استدراج من الله لسقوط القناع وظهور منهج الدولة واستعلانه، ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة، وبعد شهرين تم الإفراج على أبو زيد وأبو حفص ــ ثم اعتُقل بعدها وقتل ــ وأبو أسماء وأبو داوود المغربي وأبو سيف وبقي بعدهم أبو مرام وأبو أحمد الفرنسي وأبو بصير نحوا من الشهرين بعدها، وتم الجلوس معهم في سجون الأمن جلسة استنطاق وتقرير للمعتقد الجديد بعد أن رفض أبو محمد المصري طلب أبو مرام المناظرة واستنكر عدم استدعائه للمناظرة الأولى، وكان رد أبو محمد المصري بقوله لقد انتهى زمن المناظرات.

وتم كتابة السلسلة بحضور كل من كان في مجلس البغدادي من الشرعيين من أتباع ــ القاعدة الأم ــ فأودعوا فيها الشرك الصُراح والكفر البواح وتم إذاعتها بصوت أبو محمد المصري بطلبٍ من البغدادي، وكلهم كان شاهدا عليها وظهرت بختم الحجي عبد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر، ولما أُذيعت وفُضح القوم تملَّص منها الحُجاج ونسبوها إلى غير أنفسهم ونشروا القول بتعطيل العمل بها.

هل يُعقل أن يكون رأس "الدولة الإسلامية" بهذا التلون والازدواجية في أمر الدين والمنهج والعقيدة!! فإن كان قد قتل جماعة الحطاب بعد أن أظهر لهم الوفاق وغدر بهم بعد قبول بيعتهم وهو يعرف معتقدهم، فيستحيل أن يظهر الوفاق لوزير مفوض ـ أبو حفص ـ يُراسله بكل ما يُكتب في مسائل المنهج لِأَزيد من السنة والنصف وهو يعلم أن هذا المنهج والطرح ـــ الجديد ـــ مُخالف لأصول القحطاني ومدرسة القاعدة الأم، وهو الذي حسم النزاع قبل ذلك لصالح الفرقان، فكيف يرجع إلى إقرار منهج القحطاني بعد موته؟ ... هل لعدم رضا الحُجَّاج عليه وخوفه على ملكه منهم؟ أو وفاء منه للقحطاني ونصرة لأعلام الدولة الطواغيت الهلكى؟ أو للرؤيا التي رأتها زوجته أم دعاء؟، أو لاقتناعه بحجة القوم في مناظرة غير متكافئة كان فيها خصما لا حكما ـــ بشهادة أبي حفص الجزراوي ـــ ولم يُستدعى لها أهل الاختصاص من جماعة الغلاة؟ ... كيف يتقلب خليفة بين المنهجين مدة ملكه وفي كل مرة يُفني نفس الطائفة من الطائفتين ويُجري السيف على رؤوس الغلاة.

لقد كان ظهور البيان ثم إلغائه في مدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر ثم إذاعة سلسلة تهاجم كاتب البيان وتصفهم بأنصاف المتعلمين وتهدم أصولهم لتبني أصولا جديدة ... سبيلاً فاضحا لمنهج الدولة ... فهل هذا الانتقال بين المنهجين هو نُزهة عابرة بين الملل لا يحتاج إلى توبة من الكفر إلى الإيمان؟، أم هي أخطاء منهجية في مسائل فرعية اضطرب فيها قول الإمام فقَتل بها أمة لمصلحة بقاء أمة؟ ... كيف يجتمع قوم في دولة يختلفون في مدة خلافتهم على حد أصل الدين؟ في كل مرة يدخلون فيه أصلا ثم

يخرجونه، كيف يرفعون شعار الدولة الإسلامية وهم لم يضبطوا حد الإسلام ولا حد المسلمين ولا حد الشرك واسم المشركين؟ كيف يستنفرون "الأمة المسلمة" إلى خلافتهم مع اختلاف مللهم ثم يُصَّفُون حسابات طائفية داخل خلافتهم؟.

كيف يَقتُل خليفةٌ وزيره الذي فوضه بالملف الشرعي ــ أبو حفص الجزراوي ــ بتهمة "الغلو" ثم يفوِّض غيره على غير أصوله ــ أبو محمد المصري ــ ثم يقتله بعد ذلك ... فما هو دينه إذا؟! ... وإذ كانت الدولة اختلفت على منهجين وبغلُها قتل علماء المنهجين وأعلامهم فما هو منهجه؟ ...

لقد كان الجنود في واد يبحثون عن وردٍ يبُلُّ غليلهم والمسائل تُصَبُّ عليهم صباً يطلبون الحق مظانه والطيران فوقهم وديوان الأمن يتخطّفُهم ... أمَّا الحُجَّاج في واد آخر يريدون تثبيت ملكهم يسوقون الجنود إلى مواقع الموت مظانه ... فأحلام الجنود غير أحلام الحجاج، فالجنود يريدون الموت على الدين الحق والحجاج يريدون حياة الملك تحت راية إمام المشركين بغير حق.

لقد فتح بيان ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ **أعينا عميا وقلوبا غلفاً وكان دليلاً للحق وإن لم يحمله كاملاً في ثناياه، فكان قائدا إليه لمن أراد الهدى فاضحاً لدين الملوك كاشفا لسبيل الردى ... ايه والله فكان بعدها ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة.**

الفصل الأول

أهم الأحداث في هذه المرحلة

لا تزال الدولة تسير نحو النزول بخطى ثابتة يدفع بها التحالف إلى البادية، فسقطت الباب آخر معاقل الدولة في ولاية حلب بعد صمودها لمدة ثلاثة أشهر، وعلى إثر ذلك زحف النظام النصيري إلى تادف ومسلمة من طرف، وزحفت قوات سوريا الديمقراطية تحت طيران التحالف من سد منبج إلى الجرنية ومنها إلى الطبقة فحصل قتال شديد على السد، وفي هذه الظروف استند عبد الناصر إلى قول أهل الاختصاص: في أن السد سينفجر لتَصدُّعٍ في جداره أحدثه القصف المركز عليه، فأذاع في الناس الهروب أو الموت، ففرَّ الناس في الرقة كأنها حُمُر مستنفرة وهاجت وماجت لا تلوِي على شيء في مشهد عظيم من مشاهد الفرار من الموت، حيث لم يبق بعد هذا البلاغ في الرقة أحدٌ يريد الحياة، فكان هذا البلاغ خطأً سياسيا قاتلا ... وضمن سلسلة من الأخطاء القاتلة أمر عبد الناصر الانسحاب من بئر قصب بعد الاستناد إلى رأي بعض العسكريين والذي تسبب في سقوط آلي للقريتين ومن في خطها، وكان الأولى الزحف إليها والتحصن بها لا الانسحاب منها ... وتم سقوط الطبقة والمنصورة في ظرف وجيز وتهيَّأت الرقة آخر حصون الدولة إلى الحصار الطويل، وأُخرجت الدواوين والمراكز الإدارية إلى دير الزور وصارت الرقة ولاية عسكرية يُبايَع فيها على الموت أو الثبات.

وفي هذا الظرف العصيب سقطت الموصل بعد قتال دام تسعة أشهر وهي آخر معاقل الدولة في العراق وكانت آخر مواجهة بين الدولة والتحالف في العراق، وكان سقوط

تلعفر بعدها استسلاماً ... انتُهكت فيها الأعراض واستبيحت الديار وكان البغدادي وأبو يحي قد منعا العوائل من الخروج فأُسرت المهاجرات في الموصل القديمة وأُرسلن سبايا إلى قُم وإيران وحسبنا الله ونعم الوكيل.

لقد كان العدو قبل إلغاء البيان يتقدم بخطى متثاقلة وكان جيش الدولة متماسكا نوعا ما، أما بعد إلغاء البيان والانقلاب عليه حدثت ربكة شديدة في صفوف الجيش ووضع السلاح المئات منهم وخاصة في مدينة دير الزور والمطار التي عقدت فيها دورات مكثفة للألوية، والتي هي في حقيقتها دورات استتابة من طرف أبو يحي المغربي وأبو عبد الملك الأردني وأبو عبد العزيز الجزراوي وأبو همام الشامي، فلما أُلغي البيان أحدث نفورا واسعاً في هذا القطاع فتقدم الجيش النصيري زحفا على تدمر ومنها إلى السخنة ثم مدينة دير الزور فأخذها بدون قتال، فسقط الشريط كله من المدينة إلى معدان، ثم سقط الشريط الآخر إلى المياذين بعد زحف الجيش إليها من الصحراء، وهذا كله في ظرف شهرين فقط ... ثم سقطت المياذين في ظرف أسبوع، وتقدم الحشد الشعبي العراقي إلى القائم فأخذها في عشيّتها وأعاد حدود سايكس وبيكو بين سوريا والعراق وأظنه كان في ١٥ محرم ١٤٣٩، ودخل النظام النصيري مدينة البوكمال وصمدت القرى في الشامية ما بين المياذين إلى البوكمال لمدة الشهرين، أما في الجزيرة فقد وصلت قوات سوريا الديمقراطية إلى مشارف البوحمام دون قتال ... للأسف لقد كانت البلاد بلا حُماة وكان الملاحدة يتقدمون دون قتال.

وفي هذه الفترة سقطت الرقة آخر معاقل الدولة في الشام فلم تصمد أربعة أشهر فأُرغمت على الهدنة أو الإبادة بعد حصارها في شارع القطار وشارع الكهرباء، حيث إن التعنُّت في عقد الهدنة أدى إلى مقتل حوالي ٥٠٠ نفس أكثرها من العوائل في ليلة الموت التي سبقت عقد الهدنة والخروج بالسلاح الخفيف عبر الصحراء إلى هجين في رحلة دامت ثلاثة أيام.

سقطت العراق ولم يبق من سوريا إلا شريط في الجزيرة وراءه النهر في ظهره النظام النصيري، وأمامه الصحراء تحيط بها قوات سوريا الديمقراطية على يمينها الحشد الشعبي في حدود العراق ... أرضٌ ساقطة عسكريا والدولة لقمة سائغة تنتظر من يفترسها، ولكن التحالف تأخر في الاجهاز عليها إلى حين النظر في أمرها.

الفصل الثاني

النهاية الدامية والرمق الأخير

بعد تدهور الأوضاع حيث لم يأت الإصلاح المنشود أُكله بل كان نقمة عليها، وقد ذاقت الدولة لعنات المنهج الجديد القديم، فصارت اللجنة الشرعية مطلوبة للغدر بعد مقتل أبو مسلم المصري في قصف مسيرة وسُجن أبو يعقوب المقدسي بتهمة العمالة وفرار أبو محمد المصري واختفائه بعد تسريب أرشيف اللجنة ونشر غسيل الدولة على صفحات التيليجرام، وتم إلغاء السلسلة فبقيت الدولة بلا عقيدة ولا منهج لا يجرؤ أحد الكلام في هذه المسائل، ولا يزال البقايا من جماعة القحطاني على ما بقي من ولايات، فعلى المكتب الشرعي للجيش أبو الحارث النجدي أوس وعلى المظالم أبو المنذر المدني وعلى قضاء الجند أبو حفص الهمداني اليمني وعلى المكتب الشرعي للجند أبو رغد الجزراوي الجزار ـ لعنة الله عليه ـ فهو الذي يأمر بالعذاب والنكال الشديد في ديوان الشرك ـ الأمن ـ.

وتم في هذه الفترة إخراج كتائب جيش الصديق إلى البادية السورية عليهم أبو العمرين فهلكوا في صحرائها ... ولما عرف الحُجّاج انتهاء الخُرافة وعلموا الزوال يقينا تم إخراج بني جنسهم العراقيين ونسائهم إلى المكان الذي يختارونه ويأمنون فيه لتشكيل ولايات أمنية مع توفير خط التهريب ودفاتر الدولارات، ليبقى المهاجرون ينتظرون الموت في الصحراء.

ذهب أغلب العراقيون والسوريون إلى عشائرهم وبقي المهاجرون بعوائلهم وأولادهم من بيت إلى بيت ومن قرية إلى قرية، فسقطت البوحمام والبحرة وحوصرت غرانيج ثم سقطت فانحازوا إلى هجين وما وراءها، وفي هذه الفترة وبعد صولات على الأكراد تم عقد هدنة مع أمريكا دامت ستة أشهر كانت بدايتها في أوائل ٢٠١٨ قام فيها ديوان الأمن بأكبر حملة على من يسميهم بالغلاة الجدد فقتلت الدولة منهم المئات في أكبر مجزرة نُفِّذت صبرا غدراً في تاريخ الجهاد المعاصر ... وجاءت اللعنة بعدها وسُنَّة الاستئصال التي تجرى على الجبابرة والظلمة وبدأ الزحف من هجين إلى صحراء الباغوز وفي كل مرحلة يستسلم من الجنود أفراداً وجماعات إلى خطوط رباط الأكراد فراراً من حصار الموت.

لقد بقي فقراء المهاجرين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ليس عندهم ما يسدُّون به بطونهم فكيف لهم بآلاف الدولارات التي يخرجون بها من الموت إلى الحياة ... لم يبق أحد مُقتنع بالدولة ومن قعد أقعده قلة ذات اليد أو خيار الموت على الأسر والفتنة في الدين في الجاهلية الجهلاء، أما أصحاب الولاء للدولة من الجنس العراقي فقد تمَّ تأمينهم وإخراجهم ... وبقي فقراء المهاجرين في صحراء بلا ماء يأكلون الكلأ ويتوسدون التراب ما عندهم ما يدفعون به شر الجوع ونكال الكفار، وتكفي ١٠E أو ١٣٠C واحدة لاصطياد الجميع ولكن الكفار كانوا أشد حقداً حين ألقوا عليهم المواد الحارقة والكيماويات الممنوعة على بني الإنسان الغربي ليموت المئات حرقاً

ويستسلم من نجى ومن بقي في هذه الصحراء ... لقد كانت تلك المناظر تُبكي العيون الحاقدة على الدولة فضلا عن غيرها وحسبنا الله ونعم الوكيل.

مَن قدَّم هؤلاء إلى حتفهم وأسلمهم إلى مصرعهم وتركهم ومصيرهم؟ مَن ولَّى ظهره وهو مسؤول عنهم وفرَّ بجلدته طلبا للنجاة دونهم؟ مَن شحَّ بماله عنهم؟ مَن استنفرهم وتركهم؟ مَن دعاهم للنصرة وخذلهم؟ ... ألا لعنة الله على البغدادي وزمرته.

وفي تلك الظروف الصعبة والملك يتهاوى والأرض تُطوى لا يزال السيف الغادر يجري على عباد الله وشعار دولتهم لا نجوتم إذ هلكنا ... وفي هذه الصحراء تم تقديم أبو محمد المصري وأبو يعقوب المقدسي وأبو حفص الهمداني إلى سيف الغدر فتلوَّث سيفهم بدماء الطوائف ... بل لقد كان الهاربون يُرَدُّون من الصحراء ليتمَّ قتلهم ورميهم في تلك الصحراء.

ومع اختلال موازين القوى وانحسار الدولة والضعف الذي مرت به واتساع دائرة تكفير الدولة من جنودها، لم تحدث تلك المفسدة التي من أجلها قَتلت الآلاف من هذه الطائفة خلال هذه السنوات وهي حذر الخروج أو الانقلاب عليها، وتالله لم يكن أحد من الرؤوس يريد قتال الدولة ولا الخروج عليها إلا النادر، بل كلهم أراد ترك هذه الجماعة والخروج منها والفرار بالدين، إذْ في البقاء فيها من الفتنة على الدين أشد من فتنة بعض الطواغيت.

وإن كانت قد وقعت بعض الصدامات أثناء مداهمة الأمن لبعض البيوت فغالبا ما يقع القتال إلى الموت ولا تسليم، فأن تُقتَل مقبلا وتَدفع الصائل الغادر مقاتلاً أفضل ألف مرة من أن تُقتل بطلقة الغدر على القفى وتُلقى في تلك الصحراء وأنت مُوثقاً إلى الوراء، وقُتل في هذه المواجهات قسورة الليبي وأبو صفية التونسي وأبو همام الرقاوي ــ الوالي ــ ومعهم غيرهم في قتال دام يومين في قرية الشعفة وقتل غيرهم من العجم الكثير.

لم يبق إلا طريقين الموت أو الاستسلام ... وليس الخبر كالمعاينة فإن المقام بين الجوع والعطش تنتظر طلقة النهاية مقامٌ عظيم وسبحان القائل: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦] فسبحان مقلب الحال من العزة والمنعة إلى الذلة والمسكنة ... أن تنتظر من عدوك أن يُلقِيَ عليك ما كنت ترميه بيدك في المزبلة ... أن يقول لك عدوك استسلم أعطيك ماء وطعام ... أن يرمي عليك المنشورات مكتوب فيها: "**اسألوا المهاجرين أين ذهبت أموال الدولة الإسلامية**"... نعم إن المهاجرين يعلمون أين ذهبت أموال الدولة ومع من ذهبت ... إنهم يعرفون جيداً من تركهم والموت وقد خرجوا لنصرته ... إنهم يعلمون من سَلَّمَهُم إلى عدوِّهم في صحراء الباغوز ... يعلمون من خذلهم وشردهم ... يعلمون خاذل المهاجرين وغادر الموحدين وقاتل المسلمين.

خاتمة

لقد انتهت الدولة وجرت عليها السُنَن واستيقظ أنصارها من أضغاث حلم قصير ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [النحل: ٣٣]، ولم تنتهِ حتى أظهر الله دينها ومنهجها بواحا، وأقام اللهُ الحجج على جندها بظهور العقيدة التي تقاتل عليها في سلاسل تُذاع جهارا ... لقد كان المخاض عسير والفصام مرير والفتنة صماء والمحنة دهماء والصراع عظيم والبلاء جسيم.

لقد انتهت الدولة بسيوف أهل القرى والديار الذين عاشوا تحت ظلال الخلافة ... انتهت بسيوف الرعايا الذين طعنوا الدولة في صدرها وكانوا وقود حرب البي كي كي عليها ... العوام الذين استُنفروا تِباعا لنزالها فأجهزوا عليها حتى فنائها... وهم أنفسهم الذين كانوا في الأمس القريب بين عشية وضحاها رعايا "لأمير المؤمنين" فصاروا جنوداً لأمير الملحدين، نعم لقد انتهت الخلافة بأيدي رعاياها وسيوف أهل ديارها الذين لفظوها كفاحاً ونبذوها قتالاً جزاءً وفاقاً نصرة الكافرين وأسلمة المشركين.

حقاً لقد انتهت الدولة بسيوف الرعايا لا بسيوف "الغلاة" ــ الذين تسميهم الدولة خوارج ــ لقد كذب الحُجَّاج وصدق الموحدون فقد كانوا أنفذ بصيرة وأعلم وأحكم ... وكان الحُجَّاج أظلم وأطغى حين صحَّحوا دين المشركين فاستُؤصلوا بِسنانهم ... وقد قَتلوا ونكَّلوا بأهل التوحيد فأدركتهم لعناتهم: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨].

إنها دعوى عظيمة ونسبة جليلة قولهم "قاعدة الجهاد" أو قولهم "خلافةٌ على منهاج النبوة" وفي حقيقة الأمر هي طعن في منهاج النبوة وافتراءٌ عليه.

إنه شعار كاذب لتنفق بضاعة كاسدة على جموع الطيبين الغافلين.

إنه بريقٌ من شعار قديم آفل تَمسَّحَ به خلوفٌ بين جموع الجاهليين.

إنه فجر كاذب بل ظلام دامس.

إنها أسماء مملكة في غير موضعها وألقاب مدح جانبت موضعها.

إنها لافتةٌ مُضلِّلة ومُلكٌ غضون ... هي راية تنضح بالكفر البواح والشرك الصراح.

إنها باقية في زُبالة التاريخ على أنها خُرافة مضت في حلم عابرٍ قصير.

إنها سرابٌ في صحراء الأنبار أو جبال خرسان هلك في إثره جموعٌ من العطشى في كمين أمين.

إنه استخلافُ الكفر بعد ظلام بهيم ليستمرَّ الضياع تحت عمامة سوداء.

إنها أيادي غادرة تُستأمن على قلوب مقبلة لتعانق الموت أرسالا قبل فطامها عن الجاهلية.

إنها لم تكن يوماً على شيء ولكن الضباب الكثيف حال دون رؤية حقيقة الراية بل قُطّاع الطريق حجبوا النظر بأصول صحيحة وفهوم سليمة.

إنها صورة مشوهة ونسخة غير أصلية وظَّفها الغرب لتجميع أنصار هذا المشروع وإبادتهم في مهدهم واستباقهم إلى سلوك سواء السبيل.

إنها منهاج على خلاف النبوَّة لا خلافة على منهاج النبوَّة، إنها قاعدة القتال تحت رايات الجاهلية.

إنه يَعِزُ عليَّ كتابة هذه الكلمات، ولكن لم يعد هناك مجال إلا الإنصاف.

لقد توالت الضربات والنكبات على التيار الجهادي، وكثُر فيه الانقسام والانشطار وتباينت فيه الآراء والتوجُهات وتنافرت القلوب وتباعدت الرؤى وسقطت الأقنعة عن كثير من الرموز، وللأسف لا يزال الكثير من المناصرين يغضُّون الطرف عن الحقائق التي تأتيهم من هنا وهناك، ويصمُّون آذانهم عن الشهادات والروايات التي تقصُّ عليهم الحق وتروي لهم الواقع الأليم وتُبيِّن لهم واضح السبيل، ويُعرِّضُون عن الوقوف على أصل الداء ـ الملف الشرعي ـ ويصمُّون آذانهم عن سماع صوت الناصحين.

لقد آن الوقت لإعادة النظر في تلك التُهم المعلَّبة وتشريحها والنظر في حقيقتها، التُهم التي تُصَنَّع في مصانع الفِرى والبُهتان التي يُرمى بها أهل الحق والإيمان في هذا الزمان كرميهم "بالغلو" و"الخروج"، نفسُ التُهم التي رُمي بها أهل الإصلاح من قديم الزمان، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: بَلَغَنِي أَنَّ أَبَا خَالِدٍ، وَمُوسَى بْنَ مَنْصُورٍ وَغَيْرَهُمْ، يَجْلِسُونَ فِي ذَلِكَ الْجَانِبِ، فَيَعِيبُونَ قَوْلَنَا، وَيَدْعُونَ إِلَى هَذَا الْقَوْلِ، أَنْ لَا يُقَالَ: مَخْلُوقٌ وَلَا غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَيَعِيبُونَ مَنْ يَكْفُرْ، **وَيَزْعُمُونَ أَنَّا نَقُولُ بِقَوْلِ الْخَوَارِجِ**"، ثُمَّ تَبَسَّمَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ

كَالْمُغْتَاظِ، ثُمَّ قَالَ: "هَؤُلَاءِ قَوْمُ سُوءٍ"[١]، ولذلك وجب على المتجرِّد أن يجتهد في تقصِّي الحقائق ويقف عليها بنفسه، في زمان كثرت فيه الأهواء والكذب والبهتان وتقليب الأمور، وينبغي على المتجرِّد الباحث على الحق أنَّ يحتاط لدينه ويتحرَّى الإنصاف في الحكم على الأشخاص والدعوات حتى لا يكون إمَّعة يسير خلف الحمير وينهق بنهيقهم، ويكون مصيره كما قال تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ﴾ [إبراهيم: ٢١]، قيل لعمرو بن العاص: "ما أبطأ بك عن الإسلام، وأنت أنت في عقلك؟ "قال: "إنا كنا مع قوم لهم علينا تقدم وسن، توازي حلومهم الجبال، ما سلكوا فجا فتبعناهم إلا وجدناه سهلاً، فلما أنكروا على النبي ﷺ، أنكرنا معهم، **ولم نفكر في أمرنا، وقلدناهم**. فلما ذهبوا وصار الأمر إلينا، نظرنا في أمر النبي ﷺ، فإذا الأمر بيِّن فوقع في قلبي الإسلام"[٢].

لقد خرج من الدولة خيرٌ كثير وفي مقابل ذلك خرج منها شرٌ كبير، قومٌ نكَلوا على أعقابهم فتركوا السلاح ودرب الكفاح والتزموا أصولاً فاسدة وأهواءً كاسدة فصار بهم الحال إلى طوائف شتى، والجامع المشترك في هذه الدعوات المتهافتة أنهم جميعاً قعدوا عن القتال ونكلوا عن النِّزال، فلا تجد في دعواتهم من ينادي إلى إقامة دين الله في الأرض وتجديد درب الجهاد والكفاح ويسير على هذا الطريق، لأنهم ليسوا رجال حتى يُصادِموا الطواغيت في ساحات النِّزال، بل دعواتهم قائمة على المهادنة والتعايش مع

[١] السنة للخلال ١٣٧/٥

[٢] نسب قريش لأبي عبد الله الزبيري ٤١٠/١

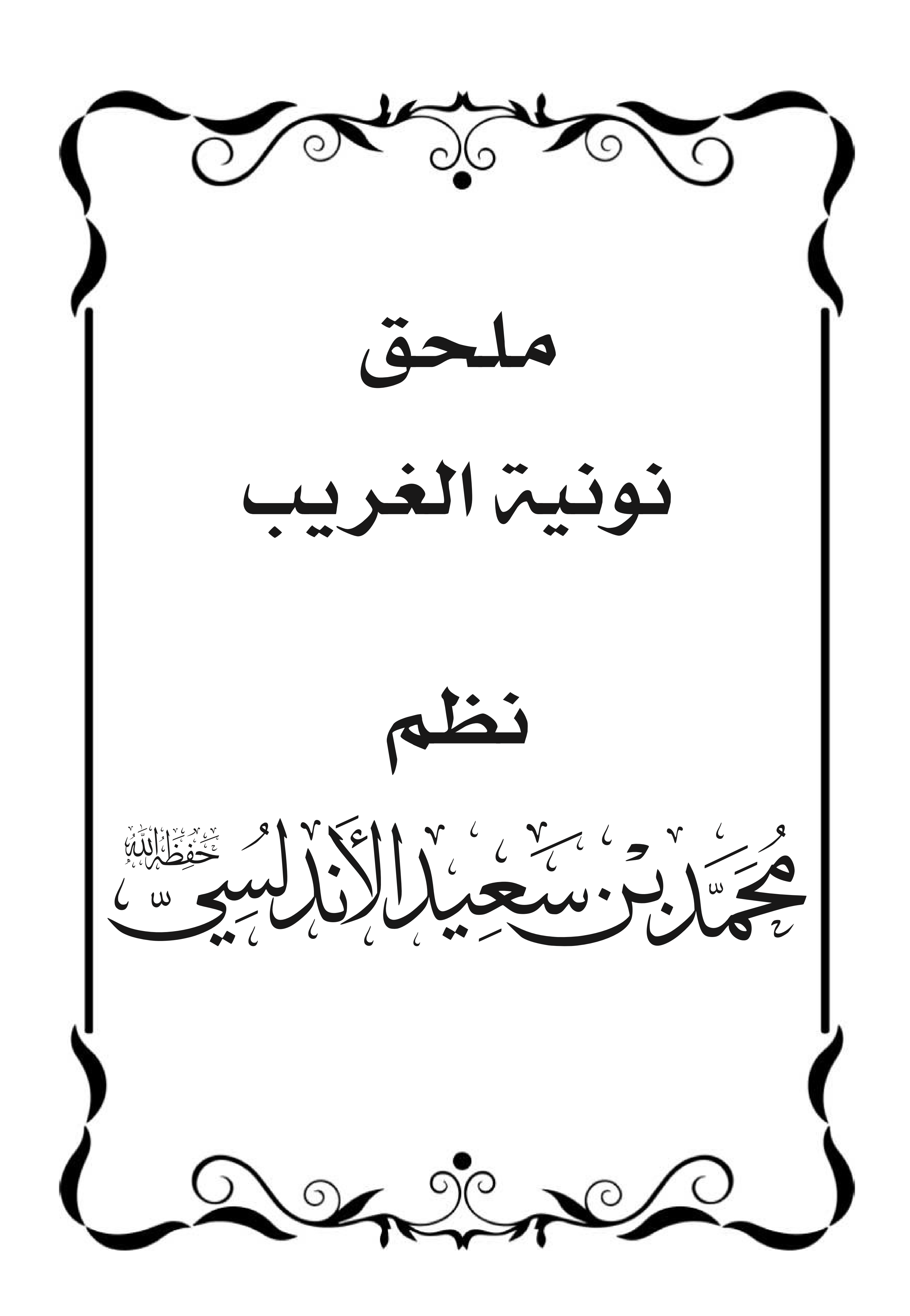
الواقع الجاهلي وتصحيح القدر الذي يستطيعون به الجلوس في ديار الكفر بأمان ... ومن بقي ممن يحمل راية النزال ــ كالقاعدة والدولة ــ على عوج كبير وانحراف شديد عن الجادة وصحيح المسير.

لقد بقي جمهور الخارجين من الدولة من المهاجرين والأنصار وراء الجدران ولم يفلت منهم إلا الشريد والنَّزر اليسير وأكثرهم فُتن بدنيا الشهوات أو جرفته سيول الشبهات ــ إلا من رحم الله تعالى ــ ومن عرف دين الإسلام كما أُنزل على محمد ﷺ ونظر في حال الناس في هذا الزمان علم يقيناً أن الواقع يحتاج إلى تجديد لأمر الدين والانطلاق الصحيح نحو الهدف المنشود للوصول إلى الأمل المحمود، وتحتاج الطريق إلى جهود الصالحين وتكاتف المصلحين، وإنا نأمل غاية الأمل أن تسير القاعدة الأم والدولة على المسار الصحيح وأن يتوبوا إلى الله من تلك المقالات والمكفرات والبدع والضلالات و يبرؤا من أهلها وأعلامهم الضُلاَّل ومن هذه الشعوب المشركة بالله تعالى، ويستقيموا على الإسلام الصحيح... اللّٰهُمَّ إليك نشكو ضعف قوتنا وقلة حيلتنا وهواننا على الناس ... اللّٰهُمَّ هيئ لنا من أمرنا رشدا واجمع كلمتنا على التوحيد ... اللّٰهُمَّ أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين.





ملحق

نونية الغريب

نظم

مُحَمَّد بن سَعِيد الأندلسي حفظه الله

الفصل الأول

الـحَـمْـدُ للهِ الـعَـظيـمِ شَـأْنَـهُ *** ثُـمَّ الـصَلاَةُ عـلى الـنَّبي العَـدنَـانِ

والآلِ والـصَّـحْـبِ الكِـرامِ كُـلِّهـم *** والـسَّـالِـكـيـنَ لِـدَربِهـمْ بِـبـيَـانِ

وبـَعْـدُ ذِي نُـونِـيَـةٌ حَـرَّرْتُـهَا *** أبـيَـاتُـهَـا فِـي عَـقْـدِنا مِـئـتـانِ

أو قَـدْ يَـزِيـدُ فَـوْقَ ذَا الـعَدِّ لَـهَا *** فِـي نَـهْـجِـنَا والقَـولِ ذِي الـفُـرْقَـانِ

وأَسـتَـعـيـنُ الله فِـي نَـظْـمِي لَهَـا *** قَـوَلاً يُـزِيـلُ الـلَّـبْـسَ لـلـحَـيـرَانِ

يَـا رَبِّ بَـارِكْ بِـذْرَةً فِـي أَصْـلِـهَـا *** نَـفْـعـاً يَـفِـيـضُ مُـثـمِـرَ الأَفْـنَـانِ

يَـا سَـائِـلِـي عَنْ مَنْهَجِي وعَـقِـيدَتِـي *** تَرْجُـوا الـنَّـجَاة وتَـبْـتَغِي الرِّضْـوانِ

إنَّ الـتَّـجَـاةَ الـيَـومَ عَـزَّ مَـنَـالُـهـا *** وقَـلَّ مَـنْ يَـنْـجُـوا مِـنَ الـثَّـقَـلانِ

فِي هَـذِه الأَرضِ التِي قَـدْ أَظْلَمَت *** مِـنْ نُـورِ دِيـنِ الـوَاحِـدِ الـدَيَّانِ

فَضَاقَ فِـي الأُفُقِ الوَسِيعِ مَعَاشُهَا *** بَـيـنَ الـبَـهَـائِـمِ زُمْـرَةِ الـشَـيْـطَانِ

قَـد اسـتَـحـالَـت جُـمْـلَـةً عَنْ دِينِها *** كـالأَنـدَلُـسْ فِـي غَـابِـرِ الأَزمـانِ

وتَـآكَـلَـت فِـي نُـفُـوسِها الفِطَرُ التِي *** فُـطِرتْ عَـلـيـهَـا سَـائِـرُ الـوِلـدَانِ

فَغَدَت إلى الشِرْكِ الصَّرِيحِ أَصَـالَةً *** وَرِثُـوهُ دِيـنـاً فِـي ثَـرى الأَبَـوانِ

فَـالـجِـيـلُ يَنشأ في المَدارِسِ نَشأةً *** عَـلـى غَـيـرِ دِيـنِ الـمَـنْهَجِ الرَبَّـانِ

رَضِعُوا مِـنَ الـثَّـدي الـخَـبيثِ ثَمَالَةً *** يَـشـتَـدُّ عُـودُ فِـي ثـرى الـكُـفـرانِ

عُـودٌ يُـقَـاتِـلُ فِـي سَـبـيـلِ وَطَـنِـهِ *** كَـي يَـحـيـا فِـيـه مُـنـعَّـمـاً بِـأَمـانِ

يَـذُودُ عَـنْ دَارِ الـبَـوارِ شَـجَـاعَـةً *** كَـي يَـبـقَ مُـلْـكـاً شَـامِـخَ الـبُـنـيـانِ

الـدارُ تَـرفَـعُ فِـي ثَـراهـا رَايَـةٌ *** وَثَـنٌ يُـعـظَّـمُ فِـيـهـا كـالـصُـلـبـانِ

ومَعالِمُ الطُغيانِ في جنبَاتِها *** وصُروحُ شركٍ تبْدُوا للأَعيانِ
قد قامَها الشَّعبُ الذي في دِينهِ *** الحُكْمُ لِلجمهُور حكماً دَانِ
وشَرائِعُ الكُفْرَان هُم مَن صَاغَها *** في البَرلَمانِ شعبَةَ الطُغيَانِ
فَتنوبُ شَعباً كامِلاً فِي سَنِّها *** حَتى يَكُونَ الحُكمُ للأَوثانِ
والشَّعبُ طَوعاً يَنْتَخِبْ في مَحْفَلٍ *** فَالقولُ قَولُ الشَّعبِ لا قَولانِ
لِيُنصِّبَ الطَّاغُوتَ في مُلكٍ لَهُ *** يَقضِي بِشِرْعَةِ شُعبَةِ الكُفرانِ
حَتَّى إذا حادَ المُلوكُ فِي حُكْمِهِمْ *** عَن نَهْجِهِمْ فالقَولُ قولٌ ثانِ
فَتسِيرُ جَمْهَرةُ الشُّعوبُ في ثَورةٍ *** فِي خلْعِ حاكِمِهَا الذي هُو جانِ
فَيُنَصِّبُوا مَن يَرتَضِيهِ غُثَاؤُهم *** ويُزِيلُوا مُلْكاً رَاسِخَ الأَرْكانِ
فَهُم الذينَ يُقَرِّرُونَ أَصَالَةً *** دِينَ المُلوكِ وحَاكِمَ الأَعيانِ
شَعْبُ النَّذَالةِ يَنْسَلِخْ عَنْ فِطْرَةٍ *** يَحظى بِما قَدْ خُصَّهُ الرَحْمانِ
فِي دِينِ دِيمُقْرَاطَ هَذا سَبيلُهُ *** حُكْمُ الغُثَاءِ فِي سَائِرِ الأَوْطَانِ
دَينُ النَصَارَى قَدْ حَذْوُا فِي حَذْوِهِ *** تَقْلِيدُهُم في حُكْمِ ذَا السُلْطانِ
فَاتَّخَذُوا الأَرْبَابَ فِي تَشْرِيعِهِمْ *** مَنْعاً وَفرْضاً سُنَّةَ الرُهْبَانِ
ورَذَائِلُ الخَلْقِ هُمْ حُكَّامُهَا *** سُفَهَاءُ قَوْمٍ زُمرَةَ النِسْوانِ
قَدْ بَدَّلُو دِينَ النَّبِيّ مُحَمَدٍ *** وَخَيرِ هَدْيِ المُصْطَفَى العَدْنَانِ
بِزُبَالَةِ الآَرَاءِ وَالأَذْوَاقِ فِي *** لَذَاتِ حَاذِقِ تَرْكَةِ اليُونَانِ
تَجْرِي عَلى أَعْرَاضِهم ودِمَائِهم *** قَد عُبِّدُوا لِلخَلْقِ وَالشَيطَانِ
تَجْرِي عَلى أَموالِهِم وعُقُودِهِم *** أَوضَاعُها تَسْرِي بِلا نُكْرانِ
وَمحَاكِمُ الطَاغوتِ عَالِي بِنَاؤُهَا *** وَوُفُودُهَا تَمْضِي بِلا نُقصَانِ

وَميزَانُهـا بَخْسٌ عَلى رُوَّادِهـا *** قـانُونُهـا حَيفٌ عَلى الإِنْسَـــانِ
عَجَبًا لَهُم كَيفَ رَضُـــوُا لِحَيَاتِهِم *** تَسُـــوُسُـــهَا أَهْوَاءُ ذِي الخُـذْلانِ
فَـدَانُوا لِلمَخْلُوقِ طَوعـاً مِنْهُمُ *** وَتَنكَّرُوا مِن شِـــرْعَـةِ الـدَيَّـانِ
قَد أَسْـــلَمُوا لِعَبِيدِ سُـــوءٍ مِثْلُهُم *** وَانْقَـادُوا لِطَّـاغُوتِ دُونَ سِـــنَـانِ
قَـدْ أُدْخلَـت فِي دِينِـهِ أَفْوَاجُهُم *** فَالدِّينُ حُكْمُ الْمُلْكِ والسُّـــلْطانِ
وطَـاعَـةٌ لِنظَـامِ حُكْمٍ وَضْـــعَـهُ *** أَرْبَـابُــهُـمْ لا خَـالِـقَ الأَكْـوَانِ
فَهُوَ اتِبَـاعُ الأَمْرِ وَالنَّهي لِمنْ *** دَانَـتْ لَـهُ بِـالقَهْرِ ذِي القِطْعَـانِ
فَمَنِ اسْـــتَقَامَ خُضْـــوُعهُ في دَارِهِم *** وَانْـقَـادَ مُـتَّـبِـعـاً هُـمَـا مِـثْـلانَ
فَهُمَـا فِي دِينٍ غَيرِ دِينِ اللهِ مَـا *** دَخَلُوهُ أَصْـــلاً إِلا فِي الأَذْهَـانِ
في ذِهْنِ جَهْمٍ قَدْ صَـفَا إِسـلامُهُم *** أَحْبَارُ سُـــوءٍ نَعْلَ ذَا السُّـــلْطَانِ
فَفِي دِينِـهِ لا يَكْفُرُوا بِخُضُـــوعِهِم *** قَـدْ أَخْرَجُوا العَمَـلَ مِنَ الإِيمـانِ
طَوَاغِيـتُ عِلْمٍ تُقْتَفِى آثَـارَهُم *** فَتَنُـوا الأَنَـامَ فِـي آخِرِ الأَزْمَـانِ
قَـدْ حَـرَّفُـوه جُـمْـلَـةً وَتَـزَيَّـنُـوا *** بِـبَـهْـرَجِ الأَقْـوَالِ وِالأَلْـحَـانِ
خَـاطُوُه دِينـاً تَرْتَضـــيـهِ مُلوكُهُم *** قَـدْ خَـانُوا عَهْدَ الوَاحِـدِ الـدَيَّـانِ
قَطعُوا الطَّرِيقَ عَنْ الهُـدَاةِ جَهْرَةً *** سَـــارُوا بِهِم فِي مَسَـــالِكِ الحَيْرَانِ
تاهُوا وَقَد حَسبُوا النَّجَاةَ في غَرْزِهِمْ *** طَـوعـاً لِـقَـولِـهُـم, بِـلا بـرهـان
إِنْ قُلْـتَ قَـالَ شَـــيخُنـا أَنْعِمْ بِـهِ *** قَـالَ إِمـامُ العَصـــرِ كَـالعُمَرَانِ
إِنْ قَالَ لا تَســـأَلْ لهُ عنْ أَصـــلِهِ *** تَســـلِيمُنَـا مِنْ أَفضَـــلِ القُرْبَـانِ
قَـدْ نَصَّـــبُوهُ إِلآهَهُم لو يَعلَمُوا *** لَكِنَّهُم قَـد أُطْمِسُـــوا البَصَـــرانِ
قَد غَشَّـــهُم فِي أَصـــلِ دِينِ الأَنْبِيَاء *** فَـدَانُـوا غَـيـرَ مِـلَـةِ الـخِـلانِ

لا يُعْـذَرُونَ بِجهلِهم وضَــلالِهم *** فَـالعُـذْرُ مُمتَنِعٌ لِـذِي الأديَـانِ
كذَاكَ مَن قَدْ أَســلَمَ أجنَاسَــهُم *** مَـا حَـقَّقَ الإِســلاَمَ والإِيـمَـانِ
فَصــرِيـح دِيـنِ الأَنـبِيَـاءِ بَـرَاءَةٌ *** مِنْ شِــرْكِ عَـابِـدِهِم مَعَ كُفْرَانِ
وتَـلاَزُمٌ بَـيـنَ الـبَـراءةِ مِـنـهُـم *** وَبَراءةٌ مِنْ شِــرْكِهِم سَــيَّانِ
لا يَســتَقِيمُ الدِينُ إلا بِأَصــلِها *** مَـا قَـامَ حَتَّى قَـامَتِ القُضــبَانِ
هَـذا الـذِي قَـد أخرَجُوهُ دُعَـاتُنَـا *** مِن أَصــلِ دِينِ فَـاطِرِ الأكوَانِ
فَـأَســلَمُوا الأَقوَامَ فِي دَارِ الخَنَـا *** وَصَــحَّحُوهُ لِسَــاكِنِ العُمْرَانِ
إِخوانُهم عُبَّـادُ مَن وَســدَ الثَرَى *** العَـاكِفِينَ عَلـيهـا طُول زَمَـانِ
الرَاقِصِــينَ بِـآلِيَّـاتِ نِسَــائِهِم *** والطَـائِفِينَ عَلى قَفَـا الجُـدْرَانِ
الخَاشِــعِينَ فِي حَضــرَةِ أَموَاتِهِم *** الـعَـائِـذِيـنَ بِـهِـم مِـنَ الأَحـزَانِ
الـوَارِثِـينَ لِـنِحـلَـةِ أَســلاَفِهِم *** الْـمـقْـتَـفِـيـنَ آثَـارَهُـمْ بِـبَـيَـانِ
مَنْ عَمرُوا فَوقَ القُبُورِ مَسَــاجِداً *** شِــرَارُ خَلْقٍ وِصْــفَـةَ العَـدنَـانِ
شِــركُ القُبُورِ والقُصُــورِ بَينَهُم *** أَشَــدُّ مِن شِــرْكِ بَنِي نَصْــرَانِ
لَمْ يَترُكُوا بَـابـاً مِنَ الكُفْرِ ولاَ *** جُمَلاً مِنَ الفِسْــقِ ولاَ العِصــيَانِ
بَلْ أَحدَثُوا مِنْ هَذه الأَوضَــاعِ مَنْ *** مَـا لَمْ يَكُنْ فِي سَــالِفِ الأَزمَانِ
فَـأَدْخَلُوا الكُفْرَ فِي جُـلِّ عُقُودِهِم *** وأَلْـزَمُـوا ذَاكَ فِـي كُـلِ مَـكَـانِ
يَا وَحْشَ مَن قَدْ وحَّدَ المَولَى وَمَنْ *** قَـدْ حَـقَّقَ الكُفْرَ بِـذِي الأَوثَـانِ
لا يَسْــلَـمُ الـدِيـنُ لَـهُ إلا إذَا *** قَـدْ فَـاصَــلَ الأَقْوَامَ والعُمْرَانِ
شَــغَفُ الجِبَالِ يَكُونُ ذَاكَ مَلاَذُهُ *** يَفِرُّ مِنْ سُــفَـهَـاءِ ذِي البُلْـدَانِ
يَرْقَى لِذَاكَ السَــفْحِ يَخْلُوا بِطَاعَةٍ *** حَـتَّـى يُـلاَقِـي رَبَّـهُ الْـمـنَّـانِ

مَنْ لَم يُفَارِقْ قَومَهُ فَليَحْذَرِ *** مِنْ خُلْطَةِ الكُفَّارِ وَالبُطلاَنِ
يَضِيعُ دِينٌ فِي مَودَّةِ مُشْرِكٍ *** يَذُوبُ صَلْبٌ فِي خُطَى الشَيطَانِ
طَاغُوتُ ذَا العَصرِ هُوَ أَقوَامُنَا *** فَاجْتَنِبُوهُ إِخْوَةَ الإِيمَانِ
يُنَازِعُونَ الرَبَّ فَي مَا اخْتَصَّهُ *** وَتَفَرَّدُوا بِالحُكْمِ والسُلْطَانِ
فَالحُكْمُ إلا لِلشُّعُوبِ مَقَالُهُم *** يُضَاهِئُونَ بِهِ بَنِي نَصْرَانِ
فَالحُكْمُ لِلمَولَى الإِلَهِ كُلَّه *** وإِنْ جَحَدَ ذَاكَ بَنِي عَلْمَانِ
وبَرَاءَةٌ مِنْ قَومِنَا تَوحِيدُنَا *** فَاعْضُضْ عَليهِ يَا أخَا العِرفَانِ
مُتَرَدِّدٌ فِي ذَاكَ أو مُتَوَقِّفٌ *** يُلْحَقْ بِذَاكَ القَومِ فِي كُفْرَانِ
وكُلُّ فَرْدٍ مِنْهُم, يُلْحَقْ بِهِم *** فَاحْكُمْ بِهَذا الحُكْمِ دُونَ تَوَانِ
غَيرَ الذِي قَدْ أظهَرَ إِسْلاَمَهُ *** وبَرَاءَةٌ مِنْ قَومِهِ بِبَيَانِ
فَهُوَ الحَنِيفُ المُقْتَدِي بِإِمَامِهِ *** المُهْتَدِي والمُسْلِمُ الحَقَّانِ
أَهْلُ الوِلاَيَةِ نُصْرَةً ومَحَبَةً *** أهلُ الإِخَاءِ وشِيعَةَ الإِحْسَانِ
هَذا كِتَابُ الله يَنْطِقُ بَينَنَا *** بِأَفْصَحِ التِّبيَانِ والبُرْهَانِ
فَكُلُّ مَا قَدْ قَصَّهُ فُرْقَانُنَا *** عَنْ مِثلِ أَقوامٍ لَنا صِنْوَانِ
لا فَرْقَ بينَ قَومِنَا أو قَوْمِهِم *** إلا بِدَعوَى دُونَ ذَا بُرهَانِ
إنَّ الدَعَاوَى لا تُصَحِّحُ دَعوَةً *** إلا بِعِلْمٍ جَازِمِ التِبيَانِ
فَأَصلُ دِينِ الأَنبِيَاءِ بَراءَةٌ *** يَتَمَايَزُ فِي إِثْرِهَا الدِينَانِ
مَا كَانَ فِي ذَاكَ الزَمَانِ دِينُهُم *** فَبِهِ النَّجَاةُ فِي آخِرِ الأَزْمَانِ
يَا غُرْبَةً فِي الدِينِ بَينَ قَومِنَا *** فَالْخُلْفُ في تَعرِيفِ ذَا الإِيمَانِ
نَدْعُوهُم, لِصَحِيحِ دِينِ الأَنبِيَاء *** يَدْعُونَنَا حُدَثَاءَ ذَا الأَسْنَانِ

فَخَوارِجٌ لَســـنَـا نَقُولُ بِقولِهِم *** أَهـلُ الكَبَـائِرِ هُم ذَوو عِصـــيَّـانِ

أَمَا الصَّـــحَابَةُ هُمْ تِيجَانُ رُؤُوسِـــنَا *** فِي إِثرِهِم نَقْفُوا إلى الرِضـــوَانِ

قَدْ كَفَّرَ الصَّـــحْبُ الكِرَامُ دِيارَ مَنْ؟ *** المَـانِعِيـنَ شَـــرِيعَـةَ الَمـنَّـانِ

فَكيفَ مَنْ قـدْ بـدَّلَ الـدِينَ وَدَانَ *** بِـنِـحْـلَـةِ قَـومِ بَـنِـي عَـلْـمَـانِ

فَـخَـوارِجٌ مِـنْ دِيـنِ قَـومٍ بَـدَّلُـوا *** لَســـنَـا بِـدَاخِـلِ هَـذِهِ الأَدْيَـانِ

فَغيرُ دِينِ المُصـــطَفَى لا نَبتَغِي *** نَرجُو النَّجَـاةَ وحُورَ ذَا الأعَيَّـانِ

يَـا طَـالِـبَ الحَقِ مُرِيـداً لِلهُـدَى *** اسْـــمَعْ بِفَهمٍ حَـاضِـــرٍ يَقْظَـانِ

اِخْلَعْ قُيُودَ أَسْـــرِهِـم وَهوَانِهِـم *** كَسْـــراً لِذِي الأصـــنامِ والأَوثَانِ

وَتَعَلَّمِ الـدِينَ الصَّـــحِيحَ بِحَـدِّهِ *** واحْكُم بِـهِ وَضْـــعـاً عَلى المِيزَانِ

وارفَع بِرأسِـــكَ نَـاظِراً فِي قَومِنَا *** هَـلْ هَـؤُلاءِ عُصـــبَـةُ الإِيـمَـانِ؟

واقـرأ كِـتَـابـاً خَـطُّـهُ بِـأَنَـامِـلِـي *** فِيـهِ البَيَـانُ الشَّـــافِي والبُرهَـانِ

عَـنْـوَنْـتُـهُ بِـهِـدَايَـةِ الأَنَـامِ *** لِحَقِيقَـةِ الإِســـلَامِ والإِيـمَـانِ

فَاعضُـضْ عَليها بِالنَّواجِذِ مُمْسِـكاً *** واحْـذَرْ تَزُولُ تَبُوءُ بِـالخُســـرَانِ

الفصل الثاني

أنـا الغَريـبُ التَـائِـبُ مِن ذَنبِـه *** أنَـا الأَسـيـفُ مِـلْـؤه أَحـزانِ
أنَـا الـطَـريـدُ فِـي دِيـارِ غُـربـةٍ *** بَـيـنَ حُـثـالـةِ آخـرِ الأزَمـانِ
أنَـا الأسـيرُ فِي سُـجونِ غُربةٍ *** بَينَ عَبيـدِ البَغـلِ والشَـيطـانِ
أنَـا الصَـدُوقُ لقولِـهِ ومَقَـالِـه *** أنَـا الـنَـذيـرُ لِـقـومِـهِ الـعُـريـانِ
إنِـي نـظـرتُ نَـظـرةَ الـمُـتـأمِـلِ *** فِي سَـيرنَـا ومَراحِـلِ الأزَمـانِ
مِـنْ حُـفـرَةٍ إلـى حُـفـرَةٍ نَـتـرجَّـلُ *** عَرَجاً فِي أَرضِ الشَـوكِ والعَثَرانِ
كُنَا أُسَـارى لِشُـيوخِ ضَـلالةٍ *** تَـهـوِي بِـنَـا فـي دَرْكَـةِ الـنِـيـرانِ
قَيـدُ الهَوانِ لِفَكـهِ مُسـتَصـعـبٌ *** قَـد أُحكِمَ في مَـدارِسِ الجَمعَـانِ
بَين المَدَارِسِ نَرتَوِي مِن سُـمِّهَا *** كالنَحلِ فَوقَ الشـوكِ والسَـعدَانِ
لكِنَّنِي نَفعـاً جَنيـتُ في إثْرِهَـا *** بَعضَ العُلـومِ حُزتهـا بِجَنَـانِ
إنَّ الخُروجَ لِبعضِـهَـا مِن بَينِهـا *** بِـفِـراقِـهَـا لا يَـرتَـوي الـظـمـآنِ
مُتَمرِداً دَومـاً أَكُونُ في صَـفِّهَـا *** لا أَرضـى بِالحَجرِ عَلى الإنسـانِ
أَتسَـمَّعُ لمِخَالِفٍ قَولاً لهُ ودَلِيلَهُ *** تُـذْكَى في قَلْبِي شُـعلَـةَ الحَيرانِ
قّد أنصُـرُ القَولَ الـذِي قَـد قُلتُهُ *** دَهـراً زَمـانـاً نُصـرةَ الـبُـطـلانِ
لَـكِـنَـنِـي طَـوعـاً أَعـودُ يَـرُدُنِـي *** صَـوتٌ قَريبٌ قَاهِرُ السُـلْطانِ
لِلحقِّ نُورٌ سَـاطِعٌ تُجْلَى بِـه *** شُـبـهـاتُ قَومٍ عَـادِمِ البُرهـانِ
فَحَقِيقَةُ الدِينِ الصَـحيحِ لا تَنْجَلِي *** لِـقَـاعِـدٍ مُـتَـخـلِـفٍ كَسـلانِ
لكِنهَـا تَجْلُو لِصـاحِـبِ هِمَّـةٍ *** مُـدَافِـعٍ بِـالـحَـقِّ ذَا الـبُـطـلانِ

النَـافِرِيـنَ البَـاذِلِـينَ لِـدينِـهِـم *** العَـامِلِـيـنَ بِـه عَـلـى الَـمـيـدَانِ
فَـهُـم الـذِيـنَ تُـفـتَّحُ أبصَـــارُهُـم *** لا النَـائِمينَ عَلى ثَرى النِسـوانِ
القَابِضِـينَ عَلى الجِمَارِ في سَيرِهِم *** مَن هَمُهُم في هِـدايَـةِ الحَيرانِ
لا العَـاكِفِينَ عَلى صَـلاحِ قُوتِهِم *** القَـابِضِــينَ رَواتِـبَ السُـلطَـانِ
مَن صَــحَّحَ دِينَ المُلوكِ وعَـدَّل *** أَوضَـــاعَهُم في الـدُورِ والبُلْـدَانِ
هُم جُموعُ العـاَملينَ في سَـــاحةٍ *** كـالـذِئـبِ يَرعَى بِقَطيعِ الضَـــآن
سَـــلفِيَّـةٌ عِلميَّـةٌ تَسـمُوا إلى *** تَثْبِيتِ مُلكِ سُـمو آل سَـلمانِ
وذُيولُهم في المَغربِ والمَشــرِقِ *** قَـد ثَبَّـتُوا عَـرشِ بَـني عَـلـمَـانِ
للتَّصــفِيَـةْ والتَّربيـةْ والتَّوعيَـةْ *** بِـواجِـبَـاتِ طَـاعَـةِ الـطُـغـيَـانِ
أَوفى الكِلابُ لسَـيِّدٍ فِي طَـاعَـةٍ *** تُـقَـادُ كَـالـحُـمْـرِ مِـن الأُذُنَـانِ
إخوانُ مِصـرَ أَفلَسُـوا في ثَورَةٍ *** قَرنـاً لهُم سَـعيـاً مِن الأَزمـانِ
رفَعُوا شِـعَـارَ شَـريعَـةِ الـدَيَّانِ *** نَيلاً أَقـامُوا شَـرعَ جنكزخـانِ
قَـادُوهـم نَحو السُـجونِ غَفلَـةً *** في عِزِّهِـم فِـي ذَرْوَةِ النَشـوانِ
سِـلْمِيَّـةٌ شَـرعِيَّـةٌ دُسـتورُنَـا *** فامضُـوا نُعيدُ حُكمَ ذَا السُـلطان
قَتَلوُهُم صَـبراً عَلى طـاغوتِهم *** في رَابِعَـةَ أو سَـاحَـةِ المَيـدانِ
نُسـبُوا إلى الإِسـلامِ والإخوانِ مَا *** شَـمُوا لهُ رَائحةً مِن غَابِرِ الأَزمانِ
كَطَرائِقِ الصُـوفِيَـةِ فـي دَارِنَـا *** كَـالشَّـاذِلِيِّ الشَـيخِ والتَيجَـانِ
ذاكَ المُريدُ في حَضـرةِ أَشـيَاخِهِ *** خَلعـاً لعقـلٍ قبـل ذا النعلانِ
قَـد كُـبِّلَ وِرداً طَـويـلاً ذِكـرُهُ *** عَبدٌ لِشَـيخٍ شَـيخُهُ الشَـيطانِ
إِخوانُهم سَـفَراً تَسـوحُ لِـدَعوَةٍ *** للهِنْدِ سَـعياً أَصـلَ ذَا الجَمعَانِ

مُتلَقِياً لِطَرائِقِ تَبليغِهِم *** بِدعَاً مِنَ الأَورَادِ والأَلحَانِ

فَواعِظٌ قَد طَأطَأَ مِن رَأسِهِ *** لِموائِدِ الفَضلِ مِن السُلطانِ

وآخرٌ يَبكِي عَلى قَنَواتِهم *** كَبُكاءِ لَيلى فَقدَهَا لِفُلاَنِ

وآخرٌ يَرثِي الهَوى بِفصَاحَةٍ *** وَجهُ صَبُوحٌ قِمَةَ اللَمعَانِ

قَد أُعجِبت نِسوانُهم بِحديثِهِ *** فِي مَجلِسٍ بِالوَردِ والرَيحانِ

قَد جَمَّعَ مِن وَعظِهِ وبُكَائِهِ *** قَصراً لهُ مِن ذِي الجِنَانِ الدَانِ

وصَفوةُ المَجمُوعِ في المَيدَانِ *** فَزعاً إلى تَغييرِ ذَا السُلطانِ

إلى الجِهادِ والقِتَالِ والفِدَا *** مُستنفِرينِ لِبَهجَةِ الفِتيَانِ

القَاعِدَة قَد حُمِّلت ذَاكَ اللِواء *** رَفعَاً يَموجُ في ثَرى الأَفغانِ

قَد بَايَعت الأَشعَري المُلا عُمر *** صَفاً قِتَالاً مَع بَنِي عَلمَانِ

وشُيوخُهم العَاذِرينَ الرَافِضَة *** لَمْ يَرتَقُوا لعَقِيدَةِ الفَوزانِ

وفُروعُهم قَد هَادَنُوا الحُكَام في *** دَولِ الرَبيعِ عَونَ ذَا الإخوانِ

وأسَامَةٌ قَد بَاركَ ثُوَارهُم *** ودَعَا لمرُسِي شِيبَةَ الخُذلانِ

شَيخٌ جَهولٌ نَصبوهُ حَكِيمَنَا *** لا يَعرفُ الكُفرَ مِن الإِيمانِ

لا ثَمرَ يُرجَى في عُقودٍ قَد خَلت *** حيثُ لا أَصلَ وافِرَ الأَفنانِ

أَصلٌ خَرابٌ وجُموعٌ قَد خَلَت *** مِن أَصلِ دِينٍ مُحكمٍ في جَنَانِ

لا خُلْفَ بينَ القَاعدة أو بِنتها *** في الدينِ بَلْ في العَقْدِ مُتفقانِ

فنزاعُ مُلكٍ وخِلافُ إمارةٍ *** وسِياسَةٍ في الأَصلِ هُم مِثلانِ

فَصلاً خِتاماً في خُرافَةِ مُلكنا *** قَولاً فَصيحاً دُونَ ذَا مَيلانِ

واللهِ قَد عَزَّ عَليَّ ذِكرُها *** بِالشِينِ لَكن إثمَ ذَا الكِتمانِ

الفصل الثالث

يـا غُربـةً في هـذِه الـدُنيا و يـا *** فِتنٌ تَموجُ بِنَـا في كُـلِ مَكـانِ

نَفرٌّ من سَـيفٍ إلى سَـيفٍ إلى *** سِـجنٍ يَضـيقُ بِشـركَةِ الخُسـران

أعـداؤنـا كُثرٌ وقَـلَّ نَصـيرُنَـا *** بَين البُغَاثِ اسـتَنسَـرُوا وجَبانِ

وحَسـبنَا المَولى العَظيم شَـأنُهُ *** فَهو العَليمُ كَـذاكَ ذُو نُصـرانِ

يَـا ربِّ فَرج كَربَنَـا ومُصـابَنَـا *** مِن القُيـودِ وفِتنَـةِ القُضـبانِ

يَـا ربِ هَـيئ أمـرَنَـا ومَـآلَـنَـا *** رُشـداً لنَـا ولِسـائرِ الإخوانِ

واحقِن جِراحـاً تَنزِفُ مِن دَولـةٍ *** غَدَرت بِأهلِ الصِـدقِ والإحسـانِ

التَـائبينَ العَـائِـدينَ لِرُشـدِهم *** عَن غَيِّهِم فِي خِلافَـةِ الكُفرانِ

أهـلُ البَراءةِ مِن جُموعٍ حَرَّفَـت *** نَهجَ النَبيّ المُصـطَفَى العَـدنَـانِ

مَن شُـرِدُوا في هَذِهِ الأَرضِ التي *** لَفظتهُمْ عَن ظَهرِهَـا بِسـنَـانِ

مَن قُطِعَت أَوصـالُهُم وتَمزقَت *** أَكبَـادُهُـم عَـلى فِرقَـةِ الوِلـدانِ

مَن أُخـدِعُو بِـالله فَـانخَـدَعُوا لَـهُ *** بَـذَلُوا النُفوسَ وجَـادُوا بِـالقُربـانِ

وتَجرَدُوا لِلحقِ فَـانكَشَـفَـتَ لُهم *** عَوَرُ السَـبِيلِ بَواضَـحِ البُرهـانِ

وَضـعُوا السِـلاحَ تَحتَ ظِلِ رَايةٍ *** شِـركِـيَّـةٍ مِـن أولِ الـبُـنـيَـانِ

هَدمُوا رُمُوزَ الكُفرِ واتَضـحَت لَهُم *** كُـفـرَانُـهَـا وحَـقِـيـقَـةُ الأَوثَـانِ

والخُلفُ فِي مَـا قُـدِمَـتْ أَبَيَـاتُـهُ *** فِي قَومِنَـا طَـاغُوتَ ذَا الأَزمَـانِ

قَـالُوا رَعَـايَا لأَميرِ المُؤمِنِين *** قُلنَـا خَزَايَا فَـاقِـدِي الإِيمـانِ

قَـالُوا غُـلاةٌ وبُـغَـاةٌ خَـارِجِيـنَ *** قُلنَـا هُـدَاةٌ صَـفـوةَ الرَحمَـانِ

قَد اجتَبانَا للصِــراطِ المُســتَقيمِ *** قَصــداً نَسـيرُ دُونَ ذَا مَيلانِ

بَـيـنَ جُـفَـاةٍ وغُـلاةٍ مَـارِقِـيـنَ *** لَسـنَا بُغَاةً بَـل عُـدُولَ الشَـآنِ

قَالُوا لَنَا فِي مِثلِكُم سُـنَنٌ مَضَـت *** قُطِعَت بِسـيفٍ حَاقِدٍ عَطشَـانِ

فَـدِمَـاؤُكُم لا نَرتَوي مِن نَهرِهَـا *** لا نَـهـرَ يَـمـلَـؤُهـا ولا نَـهـرَانِ

وقُلوبُنـا زُبرَ الحَـدِيـدِ لا تَرحَمُ *** وسُـيوفُنَا تَمضِـي بِلا رَجعَانِ

وسُـجُونُنا فيها العَذَابُ البَلسَـم *** مِن دَائِكُم تَشـفِي لَنـا الغَليانِ

وفِعَالُنَا صِـدقٌ دِيالَى تَشـهَدُ *** مَن نَازَع البَغلَ في هَذا الشـآنِ

لا نُبق مِنكُم خِلفَةً وسَـنقطَعُ *** كُـلَّ الرُؤوسِ بِفكرِهـا الـملآنِ

قُـلـنَـا ومَـاذا تَـنـقِـمُـونَ مِـنَّـنـا *** غَيرَ الهُدَى وَصَحِيحَ ذَا الإيمانِ

فَقُلوبُنَا لِلحقّ لانَـت تَسـعَـدُ *** تَقلِيبُهَـا صَـفواً مِنَ المَنَّانِ

وَدِمـاؤُنَـا دَهـراً تَـذودُ عَـنـكُـمُ *** مِـن نَـهـرِهَـا قَـامَ لَـكُـم قَـرنَـانِ

وَجِسَـامُنَا فِيها الجِراحُ تَثْعُبُ *** لا تَقوى في سِـجنٍ لكُم فَتَّانِ

مَا ضَـرنَا أَي سُـيوفِ المُشـركِين *** بِـه قَتلُنَا نَمضِـي إلى الـدَيَّـانِ

فَالغَدرُ فِيكُم وخِصَـالُ الخَائِنين *** لِـمُـهَـاجِـرٍ لَـبـى نِـدَاءَ الـعَـانِ

قُلنَـا تَعـالُوا لِلحِجَـاجِ وحُجَّةٌ *** فِيها الفِصالُ لا سَيفَ ذَا السُلطانِ

قَالُوا نَسـيرُ عَلى سَـبيلِ السَّـابِقين *** أَعلامُنَـا فَصَـلُوا بِهـا بِبَيَـانِ

لَسـنَا نَقُولُ بِقولِ خُلْفٍ مَارِقِين *** شِـرذِمَـةٌ حُـدَثَـاءَ ذَا الأَسـنَـانِ

وعِندَنَا مِن سَـاسَـةِ العِلمِ ومَن *** سَـيُخَرِّجُونَ القَولَ مِن أَصـلانِ

قَولُ الشُـيوخِ ذُو احتِمَالٍ لَفظُهُ *** يَخفَى عَلى الخُلْفِ بَني جهلانِ

وسَـتَسـمَعُونَ قَولَنَا في سَـلاسِـلٍ *** عِلمـاً يَفيضُ يُـذَاعُ في البَيَـانِ

نَســخاً لِكـلِ سَــابِقٍ أو قَبلِـهِ *** مَن قَـد مَلاهُ شِـيعَـةَ الفُرقَـانِ
أنصَــافُ عِلمٍ غَازَلُوا فِي طَرحِهِم *** أَهـلَ الغُـلو لـجنَـةَ الغِـلمَـانِ
إنَّا نَقضنَا السَـقفَ فوقَ رُؤوسِـهِم *** سَـنُشـرِدُ مَنْ خَلْفَهُم بِسِـنَـانِ
قُلْنَـا صَــبرنَـا مَنهَجَ قُوَّادكُم *** كَذا سَـمعنَا سَـلاسِـلَ الكُفرانِ
قَولاً يُخَاطُ عَلى مَقاسِ شُـيوخِكُم *** شِـركـاً يُـذَادُ عَلى بَنِي جَهمَـانِ
عَجناً وخَبصـاً أَضـحكَ صِـبيَانَنا *** سُـبحَانَ فَاضِـح عَالِمِ السُـلطَانِ
وقَـد كَشَـفنَا لُبسَـكُم في حِينِهِ *** فـي كِـتَـابِنَـا عُـنوانُـهُ التِـبيَـانِ
فَـانظُر تَرى أَهْـلُ الجَهَـالَـةِ مِنَنَـا *** مَن سَـاسَ عِلْماً هُم ذَوو الحِرمَانِ
فِبضَــاعَـةٌ رُدَت عَلى تُجَّـارِهَـا *** وَسَــلاسِــلٌ تُزجَى بِهَـا النِيرانِ
هَـلْ عِنْـدَكُم غَيرَ الـذي أَظهَرتُمُوه *** نَسـخاً جَدِيداً في السَـنَة ثِنتَانِ
مَن مَاتَ قَبلَ النَسـخِ مَاذا حُكمُهُ *** أو بَعدَ خَبصٍ هَل هُمَا في جِنَانِ؟
قَالُوا قَدْ آنَ قطفُكُم وحَصَـادُكُم *** بَـل عِـنـدَنَـا لِـعَـذَابِـكُـم أَلـوانِ
تُكفِرُونَ حَضـرَةَ المَولَى الإِمَـام *** الـهَـاشِـمي خَـليفَـةَ الـعُـمَـرانِ
تَحتَطِبُونَ رَعيَّـةَ المَولَى الإِمَـام *** مِن أَرضِ بُوحمَامَ إلى السـبِيخَانِ
وقَـد عَزمتُم لِلخُروجِ والقِتَـال *** وشَـقِّ صَـفِ المُسـلِمينَ بِسِـنانِ
مَن لَم يَكُن في جُندِنَا هُو ضِـدُنَا *** قَـد نَقتُلُ مَن لَيسَ في الحُسـبَانِ
سَـنقتَحِم أَوكَـارَكُم وبُيوتَكُم *** سِـنُبيِّـتُ النِسـوانَ والوِلـدَانِ
سَـنـيـتِـمُ ونُـرَمِـلُ ونُـنَـكِـلُ *** كَجَماعَةِ الحَطَّابِ بَل ضِـعفَانِ
سَـنَفُكُ عَـانِيكُم مِن الأَكرَادِ كَي *** بِسُـيُوفِنَـا قَطعـاً لِـذِي الوِردَانِ
بِمَطَـارِقَ سَـنـدُقُ هَـامَ مُهَـاجِرٍ *** في سَـاحَـةٍ ونُسَـمِـلُ العَينَـانِ

قُلنَا فَزِعتُم لِلســلاحِ عِندَمَا *** أَبطَلنَا سِـحرَ سَاسَـةَ السُـلطانِ

طَاغُوُتُكم كَالحيَّةِ تَتَقَلَبُ *** يوماً بِنهجٍ بَعدَهُ نَهجانِ

لا يَدرِ مَا قولٌ لَكُم أو قَولُنَا *** قد غُرِّرَ بالملكِ والسلطانِ

تَارةْ يَقُولُ بِقولَةِ القَحطَانِ *** ثُمَ يَعُودُ لِقولَةِ الفُرقانِ

تَارَةْ يُجِيبُ مَا قَالَ ذَا الإِنسَانِ *** ثُمَ يَعُودُ لِخَبصَةِ الكِنَانِ

وكَم أَراقَ مِن دِمَاءِ المُسلِمين *** بَغلٌ يَقودُ جَاهِلُ القولانِ

أَمَا احتِطَابُ المُشرِكِينَ فِرزقُنَا *** أَينَ غَنائِمُ غَزوِنا بِسِنَانِ

إلا الكَفَّالَةَ لِلدوَامِ في شِركَةٍ *** رِبَاطُ شَهرٍ حَقُهُ فِلسَانِ

ضَاعَت بِهَا أَبناءُ قومٍ قُتِّلوا *** والمالُ وَافِرٌ عِندَ ذِي السُلطَانِ

إنْ كُنَا قَد أَحلَلْنَا دَارَ البُوحمَام *** بِمَنَاطِ كفرٍ وَاضِحِ البُرهَانِ

فَأنتُم، أَحلَلْتُموهَا قَبلَنَا *** مِن أَجلِ نَفطٍ سَارِعِ الذَوبَانِ

واللهِ مَا كُنَا نُريدُ نِزَالَكُم *** إلا لِدَفعِ صَائِلٍ خَوَّانِ

ورَعاً ولكِن قَد أَردنَا فِراقَكُم *** هُجرَانَ دَارَ الغَدرِ والبُهتَانِ

أَسماءُ مَملَكَةٍ تَمسَّحَ أَهلُهَا *** بِخيرِ قَرنٍ خِلفَةَ العُمرَانِ

لكِنَّهَا مُلْكٌ غَضُونٌ جَائِرٌ *** عَلى خِلافِ مَنهَجِ العَدنَانِ

فَجرٌ كَذُوبُ بَل ظَلامٌ دَامِسٌ *** امتِدَادُهَا قَاعِدَةُ الخُذلانِ

سُفهاؤُنَا رَفعُوا شِعاراً كَاذِباً *** نَصبُوا كَميناً لِلفَتَى الحَيرانِ

باسمِ الخِلافَةِ والشَهَادَةِ والعُلاَ *** لَبَّى النِدَاءَ مَطلِقاً لِلفَانِ

هَجَرَ الدِيارَ مُسارِعاً تِلكَ الخُطَى *** وَمُعانِقاً لِلموتِ كَاللَهفَانِ

طَوعاً يَسيرُ لِلمَفَازَةِ آمِناً *** أَرسَالُهُم تَترَا إلى الميدَانِ

حِمَمُ الصَــليـبِ لِلقُلوبِ تَخلَعُ *** لا يَثبُـتُ في ثَغرِهَـا جَيشَـــانِ
يُقتَّلُونَ كالنِعَاجِ لِصَـــبرِهِم تَتَعجَبُ *** قَبـلَ فِطـامِـهِـمِ, عـنِ الـكُـفـرانِ
تَفنَى جُمُوعُ النَـافِرِينَ في جَبهَـةٍ *** حُقُولَ نَفطٍ بِيجي ذَا العِصـــيَـانِ
تَفنَى الأُلوفُ وفَـاؤهُم لِمقَـالـةِ *** حَجَّـاجنـا لَن تَســقُطَ كُوبَـانِ
تَفنَى الجيُوشُ تُقَـدَمُ وجَبَـاتُهـا *** طَبَقـاً سَــريعَ الهَضـمِ لِلطيرانِ
يَتَســـابَقُونَ بِصُـــدورٍ عَـارِيَات *** يَـتـواجَـهُـونَ لَـيـسَ ذُو كُـفـآنِ
ضُـــبَـاطُنَـا قَـد أججوا نِيرَانَهُم *** وقُـودُهَـا ذَاكَ الـفَـتَـى الـحَـيـرانِ
بِـالأمرِ تَثبُـتُ هَـاهُنَـا حَتى الفَنَـا *** أَو قَـاعِـدٌ وَمُـخـذِّلٌ وَجَـبَـانِ
قُتـلَ الرِجَـالُ المُقبِلينَ إلى الوَغَى *** قَـد غُرِرُوا فِي شِــرْكَـةِ البَورانِ
قَد كَانُوا ذُخراً في جِهَادِهِم, العِدَا *** لـو عُـلِمُـوا دِيـنَ النَـبي الـعَـدنَـانِ
لكنِهُم نَصَــروا الشُــعوبَ الثَائِرَة *** مِـن لَـبنِهَـا قَـامُـوا بِـذَا البُـنيَـانِ
مَشرُوعهُم عَلى ذِي الشُعوبِ الكَافِرَة *** كَـمُـقـلِـدِ الـخِـنزيرِ ذَا الـمُـرجَـانِ
لَم يَبـدَؤُا مِن أَصـــلِ دِينِ الأَنبياء *** بَـل أُقحِمُوا في مَتَـاهَـةِ الشَــيطانِ
كيـفَ تَقومُ دَولَـةٌ في شَــــامِنَـا *** في الشِـــركِ غَـارِقَـةٌ إلى الأُذُنَـانِ
لَيسَ يُصـــحِحُ دِينَ قَومٍ مُشـــركين *** إقـامَـةُ الـحَـدِّ ولا الِـمـيــزَانِ
لأنـهُـم لا بِـالـفُـروعِ مُـخَـاطَـبين *** قَبـلَ الـدُخولِ في دِيننَـا بِبيَـانِ
بَـل سَــيفُنَـا أو جزيـةٌ أو تَوبـةٌ *** فَرضُ الجِهـادِ لِـدعوةِ الحَيرانِ
ودَولَـةُ الإِســلامِ قَـائـمَـةٌ عَـلى *** المُســـلِمِينَ وعُصـــبَـةِ الإِيمـانِ
كمَا أُقيمَت في زَمانِ المُصـــطَفى *** مِـثْـلاً تَـقـومُ فـي آخِـرِ الأَزَمـانِ
بَعـدَ الـدُعـاءِ والبَـلاءِ والِـمحن *** جِيلاً يَقومُ صَـــحيحَ ذَا الأَركـانِ

قَـاعـدَةٌ تُـبـنَـى عَـلـيـهَـا دَولَـتِـي *** لا حِزبَ بَعـثٍ خِلْفَـةَ الطُغيـانِ

هُم الـذِينَ دَنسُـوا مَشــرُوعَنَـا *** وتَـلَـبسُـوهُ لِبـاسَ زُورٍ شَـانِ

إعلامُهُم يَسـبِي الفُؤادَ بِسِـحرِه *** قَـد أَخرَجَ الأنصَـارَ مِن أَوطَـانِ

يَـتَـوافَـدُونَ فِـي رِحـلَـةٍ آمِـنَـةٍ *** تَـحـتَ نَظـارَةِ أَمنَ ذَا الـجِيرانِ

لَيسَ الخُروجُ كَـالـدُّخولِ بَعـدَهَـا *** حَتَى يَزولَ الحُلمُ فِي الأَذهـانِ

قَـالوا اكتَفينَـا بِـالأُلوفِ عِنـدَكُم *** سَـنبِيـدُكم عِبراً لِـذي الأَقرانِ

ذَاكَ هُو مَشـرُوعُكم حُلمٌ جَميل *** أُنظر مَصـيرَ وَمَصـرَعَ الإِخوانِ

حَتى يَموتَ الحُلمَ فِي أَحلامِنَـا *** حُلمـاً يَقُضُّ مَضـاجِعَ الطُغيـانِ

هَـذا الـذِي قَـد خَطَّطَ أَعـدَاؤنَـا *** النَفُخُ في الوَرَمِ الخَبيـثِ الفَـانِ

لِـيُـعـجِّـلُـوا فِـي بَـتـرِه وَفَـنـائِـه *** بَـل وَعـدُنَـا فـي آخِـرِ الأَزمـانِ

بَـاقِـيَـةٌ فِـي زُبَـالَـةِ تَـاريـخَـنَـا *** تَـفـنَـى اجـتِـثَـاثـاً وأُفـولاً فَـانِ

عَلى سُـنةِ الكُفارِ مَاضٍ قَد خلا *** لا تَجرِي مِثلاً في ذَوِي الإِيمـانِ

تَـفـنَـى دِيـارٌ وتَضـيـعُ أُمَـةٌ *** تُـداسُ بِـالأَقـدامِ والـنَـعـلانِ

تُسـبـى إِمـاءٌ وتَـجـوعُ حُـرةٌ *** كـانَ لَـهـا فـي دَارِهَـا قَصـرانِ

يُبَـاعُ قَهراً عِرضُـنَـا ويُسـلَمُ *** لِـمُـعَـمَـمٍ فـي الـحُـوثَـة أو إِيـران

مَن لم يَمُت بِالقَصـفِ مَاتَ بِغيرِه *** جُوعـاً يَموتُ لِحتفِـهِ عَطشـانِ

أو سَـيفِ غَـدرٍ مِن دِيوانِ أَمنِهم *** عَلى القَفَـا يُلقَى في ذِي القِيعَـانِ

اسـتَـنفَـرُوا لِـلـهَـارِبِـيـنَ مِـنـهُـم، *** نَصـبُوا الحَواجِزَ لِلفتَى الفَلتَـانِ

والنَاجِي نَاجٍ فِي سُـجونِ الكَافرين *** عَبـداً أَسـيراً مِن وَرا القُضـبَـانِ

قَد بَاعَنَا شَـعبُ النَذَالَةِ والخَنَا *** بَخسـاً رَقِيقـاً لِـذَويِ الكُفرانِ

هَـذا جَـزاءُ نَصــــرِهِ وفِـدَائِـهِ *** وِفْـقـاً جَزاءً نُصـــرةَ الـطُغيـانِ

ذَهـبَ الـذينَ يُعـاشُ في أَكنـافِهم *** وبَقيـتُ فَرداً خَلفَ ذَا الجُـدرانِ

فَليـتَ شِـــعري كَم لِـدمعٍ جَريُـهُ *** عَـيـنـاً تَـنُـوحُ بِـه بَـل عَـيِـنَـانِ

فَـالجُرحُ في قَلبِي بَعيـدٌ قَعرُهُ *** ونَـزيـفُـهُ يَســـرِي ذَوي جَـريَـانِ

فَـذنـبُـنَـا ذَنـبٌ عَـظـيـمٌ جُـرمُـهُ *** إلا الـرَجَـا في عَفـو ذُو الغُفـرانِ

يَـا رَبـنَـا عَـبـدٌ ذَلـيـلٌ تَـائـبٌ *** مِـن ذَنـبِـهِ مُـتـوجِـسٌ نَـدمَـانِ

فَـارحـمْ غَـريبـاً رَاجِيـاً يَـتـأمـلُ *** صَـــفحاً وعَفواً مِنكَ يَا رَحمانِ

وفي الـخِـتَـامِ غَيـرَ ذَا الـمنظُومِ *** نَثراً فَصـــيحـاً عِـنـدنَـا بِبيَـانِ

يَجلُوا الضَـــبـابَ كُلَـهُ لِلنَـاظِرِ *** وَتُـفَـتَّـحُ أَبصَـــارُ ذِي الـعُـميـانِ

مَـا لا يُطَـاقُ ذِكرُهُ في نَظـمِنَـا *** بَـل نَـثـرُهُ يُـروى بِـهِ الـظَـمآنِ

والـحمـدُ للهِ الجَميـلِ وَصــفُـهُ *** حَمـدَاً كَثيراً مِن ورى القُضـــبـانِ

والآلُ والصــــحبُ الكِرامِ كُلِهِم *** في إِثرِهـم نَقفُوا إلى الرِضـــوانِ

فهرس

انتهت الدولة وأفَلت القاعدة ولا يزال الطريقُ طويلًا، ولا بد من تصحيح المسار وتقويم الاعوجاج، بل تركُ ذاك السبيل والعمل من جديد بعد وضع أساسٍ صلب وتحديد الطريق الصحيح والمنهاج القويم ثم السير عليه، فقد نصِل أو نموت دونه... والله يحكم ما يريد.

وفي هذا الكتاب، تقويم لتجربة حيّة ودراسة ميدانيّة قائمة زمانيًّا من بعد الثورات -التي اصطُلح عليها الربيع العربي- ومكانيًّا في الشام والعراق، يقوم على دراسة الملف الشرعيّ للتيار الجهاديّ بين القاعدة وفرعها دولة الخلافة... لقد آن الوقت لإعادة النظر في تيار الخذلان من قاعدة الجهاد إلى خرافة بغداد بنظرِ المتجرد المنصِف في أصل الداء: «الملف الشرعيّ»؛ فإن النظر فيه كافٍ في الوقوف على سبب الخذلان عبر هذه العقود... ولا ثمرة تُرتجى حيث لا أصل سليم يثمِر.

محمد بن سعيد الأندلسي



SEIRAJ.COM

سراج الطريق